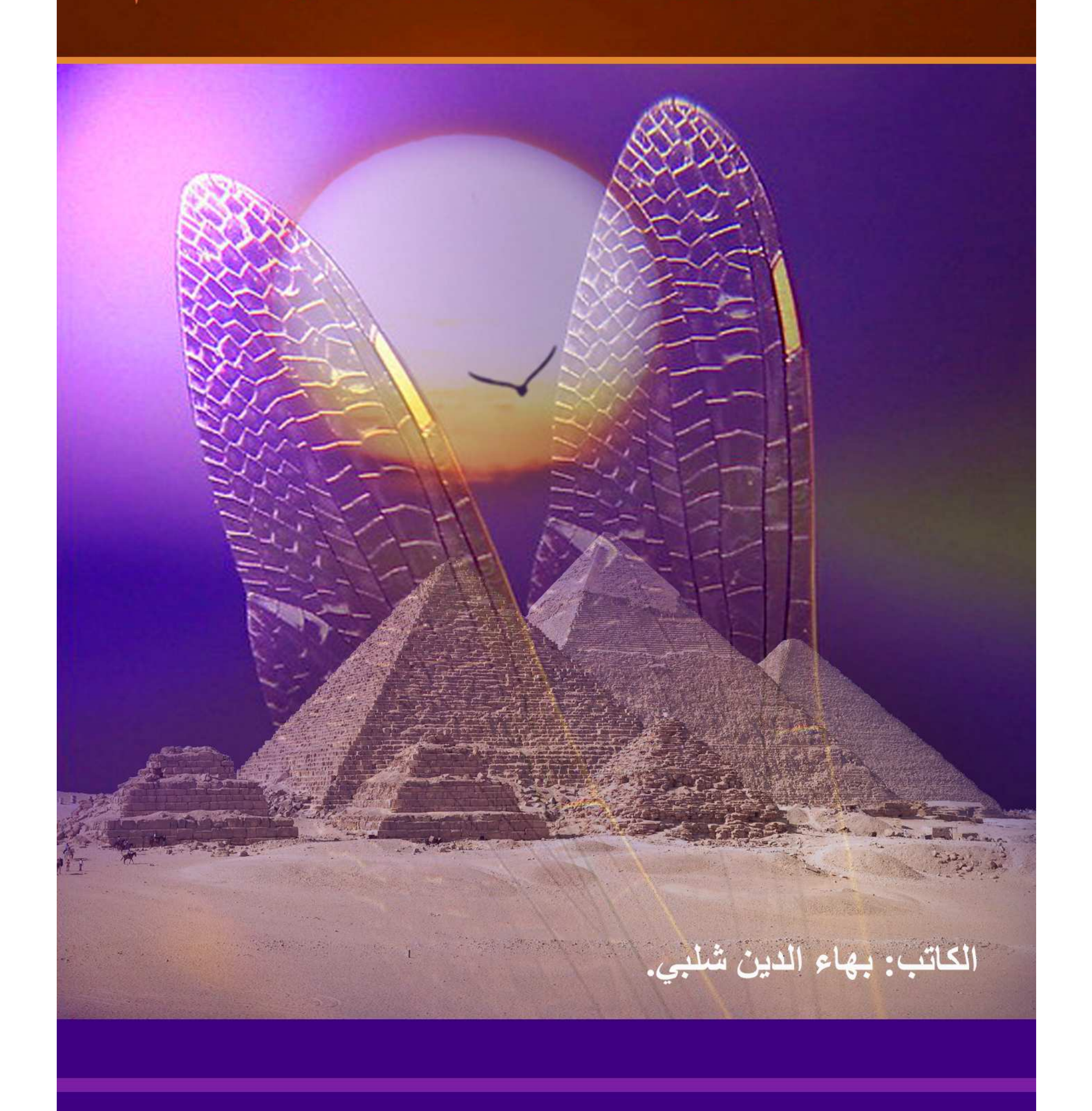
ملك جرت الريح بأمره

رحلة "ذو القرنين" سليمان بن داود عليهما السلام



ملك جرت الريح بأمره

رحلة "ذو القرنين" سليمان بن داود عليهما السلام

الكاتب: بهاء الدين شلبي.

محتويات الكتاب

* * * * * *

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مـــن يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحـــده لا شـــريك لـــه، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) [آل عمران: ١٠٢].

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَـــالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) [النساء: ١].

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد: نتناول في هذا البحث قصة "ذو القرنين" من سورة الكهف بالدراسة والتحليل، واتبعت منهجا محددا في هذا البحث، فبعد قراءة الآيات واستيفاء دراسة خلاصة ما قدمه المفسرون من أقوال، قمت بتنحية جميع الإسرائيليات، وكل حديث غير صحيح، ثم بدأت من الصفر بإعادة بنـــاء تفـــسير الآيات القرآنية، على أساس ما ثبت بنص كتاب الله تعالى، وصحيح السنة المطهرة، وما ثبت باللغـــة العربية من معاني الكلمات، والألفاظ، والحروف، كمحاولة لأصل إلى دلالات جديدة، بعيـــدا عـــن التأثر بأقوال العلماء فيما اختلفوا، عدا المجمع عليه من القول، وتنحية جميع ما يتردد على ألسنة الناس والدعاة من تفسيرات وتصورات. فكان هذا البحث المتواضع ثمرة اجتهاد يصيب ويخطئ، فنسأل الله تعالى القبول والرضا والمثوبة.

وخلص هذا البحث إلى إبراز معلومات جديدة لم يرد بشأنها ذكر في كتب التفسير، أبرزهـــا أن "ذي القرنين" هو لقب لنبي الله "سليمان" عليه السلام، وأنه هو من قام باكتـــشاف قـــارة أمريكـــا واستراليا، واكتشف كروية الأرض، وأنه قام ببناء الأهرامات، وأن وظيفتها سد بوابة قوم "يـــأجوج ومأجوج"، وأنهما قومان من شياطين الجن. هذا بخلاف مسائل أخرى عديدة يكشف البحث عنـــها النقاب، ويوضح ما أشكل فيها. لذلك أنصح بقراءة البحث عدة مرات لاستيفاء الربط بين عناصـــره بشكل تام.

بهاء الدين شلبي

٢ شوال ١٤٢٩

depaj@hotmail.com

* * * * * *

ذو القرنين:

اختلف المفسرون في تأويل معنى كلمة (**الْقَرْنَيْنِ**)، الواردة في قوله تعالى: (**وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا**) [الكهف: ٨٣]، وأخفقوا جميعا في تحديد هوية (**ذِي الْقَرْنَيْنِ**)، فذهبوا مذاهب شتى لا تتفق ودلالة النص اللغوية، و لم يتفقوا على قول جامع معتبر، فالمسألة خلافية، حيث لم يقف أحد منهم على تحديد معنى هذا اللقب، ومن يكون صاحبه. ولأن اللغة العربية هي من إعجاز كلام الله تعالى، فإن تأويل القرآن لا يجب أن يستند على مجرد تصورنا الشخصي لظاهر دلالة النص القريبة لأذهاننا، بل يجب دراسة جميع الدلالات اللغوية القريبة والبعيدة لكل كلمة على حدها، ثم مقارنة مختلف المعاني المقبولة لكل كلمة مع سياق النص، كمحاولة للوصول إلى أبعاد دلالات النص اللغوية.

تناول المفسرون جميع معاني (**الْقَرْنَيْنِ**)، إلا تفسيرا واحدد مقبولا لم يتطرقوا إليه، وذلك من حديث عبد الله بن مسعود سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الناس خير؟ قال: (**قرني! ثم الذين يلوهم، ثم الذين يلوهم. ثم يجيء قوم تبدر شهادة أحدهم يمينه، وتبدر يمينه شهادته**). فجاءت كلمة (قرن) هنا بمعنى (ناس) فيصير قول النبي صلى الله عليه وسلم (**قرني**) أي (أصحابي) ثم التابعين ثم تابع التابعين.

في لسان العرب (القرن: الأمة تأتي بعد الأمة ... وفي النهاية أهل كل زمان، مأخوذ من الاقتران، فكأنه المقدار الذي يقترن فيه أهل ذلك الزمن في أعمارهم وأحوالهم... والقرن من الناس: أهل زمان واحد..قال الأزهري: والذي يقع عندي، والله أعلم، أن القرن أهل كل مدة كان فيها نبي أو كان فيها طبقة من أهل العلم، قلت السنون أو كثرت، والدليل على هذا قول النبي، صلى الله عليه وسلم: (**خيركم قرني**) يعني أصحابي، (**ثم الذين يلوهم**)، يعني التابعين، (**ثم الذين يلوهم**)، يعني الذين أخذوا عن التابعين، قال: وجائز أن يكون القرن لجملة الأمة وهؤلاء قرون فيها، وإنما اشتقاق القرن من الاقتران، فتأويله أن القرن الذين كانوا مقترنين في ذلك الوقت والذين يأتون بعدهم ذوو اقتران آخر... وقال سفيان بن حرب للعباس بن عبد المطلب حين رأى المسلمين وطاعتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم، واتباعهم إياه حين صلى بهم: ما رأيت كاليوم طاعة قوم، ولا فارس الأكارم، ولا الروم ذات القرون؛ قيل لهم ذات القرون لتوارثهم الملك قرنا بعد قرن، وقيل ذلك لقرون شعورهم وتوفيرهم إياها وأنهم لا يجزونها).

وعلى هذا فإن (**الْقَرْنَيْنِ**) في الآية يحتملان أنهما أمتين كان يحكمهما "ذو القرنين"، والنبي الملك الوحيد الذي كان يحكم ملئا من أمتين، هو نبي الله سليمان عليه السلام، فكان ملأه فيه صحبة من أمة الجن، وصحبة من أمة الإنس، قال تعالى: (**قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ * قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ**) [النمل: ٣٨: ٤٠].

فلبى الطلب اثنين من ملأ سليمان عليه السلام أما الأول فكان (**عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ**)، وأما الآخر فكان (**الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ**)، ذهب بعض المفسرين إلى أنه رجل من الإنس، هذا وإن كان مذهبي أن الذي عنده علم من الكتاب هو عفريت من الجن أيضا، يتميز على العفريت الأول بأن لديه علم من الكتاب. وفي هذا القول إضافة أوردها ابن كثير في "البداية والنهاية" حيث يقول: (... وقيل هو رجل من مؤمني الجان كان فيما يقال يحفظ اسم الله الأعظم...).

وبالإضافة إلى ملأ سليمان عليه السلام وقرنيه من الجن والإنس، كان له منهما جنود، هذا بالإضافة إلى جنوده من الطير، قال تعالى: (**وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ**) [**النمل**: ١٧]. ولا يجوز أن نضيف الطير مع قرنيه من الجن والإنس، لأنهم كائنات غير مخاطبة بالكتب والرسالات.

أوجه الشبه بين "ذي القرنين" و"سليمان" عليه السلام:

بخلاف ما ذكرناه عن لقب "ذي القرنين"، هناك أوجه شبه كثيرة بين ملامح شخصيته وبين نبي الله "سليمان" عليه السلام، مما يدعم القول بأنهما شخص واحد، خاصة وأن "ذي القرنين" لقب يحتمل وجود اسم لحامله، بينما "سليمان" اسم علم يحتمل وجود لقب أو كنية له، فأن يجتمعان لشخص واحد فهذا غير ممتنع ولا مستبعد، لذلك يجب أن نبحث عن أوجه الشبه بين صاحب اللقب، وصاحب الاسم، وخصوصا ما اختص الله به نبيه "سليمان" عليه السلام من خصائص لا تنبغي لأحد من بعده، كتسخير الريح، وشياطين الجن، وما شيدته له الجن من منشئات، أو ما لم يسبقه أحد إليه كإسالة عين القطر.

وبخلاف ما سوف أورده من أوجه شبه بين الشخصيتين، فسوف يتضمن البحث جملة من التفاصيل الهامة عن رحلة "ذو القرنين"، وعن بناءه السد، والتي لا يمكن إيجازها في نقاط يسيرة، بل تحتاج إلى كلام مفصل بالأدلة المسهبة، لذلك سأوجز بعض الأمور المتشابهة بينهما، لمجرد لفت الانتباه إلى أهمية مراعاة أوجه الشبه بين الشخصيتين، أجمل طرفا منها فيما يلي، وهناك ما هو أكثر في البحث:

ـ ملكان نبيان:

ذو القرنين كان ملكا نبيا، يتلقى الوحي من الله تعالى، بدليل قوله تعالى: (**إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ**) [**الكهف**: ٨٤]. قال ابن كثير (أي أعطيناه ملكا عظيما ممكنا فيه من جميع ما يؤتى الملوك من التمكين والجنود وآلات الحرب والحصارات ولهذا ملك المشارق والمغارب من الأرض، ودانت له البلاد وخضعت له ملوك العباد وخدمته الأمم من العرب والعجم ...).

وفي قوله تعالى: (**قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا**) [الكهف: ٨٦]. هذا دليل على تلقيه وحي من الله تعالى يحكمه في الناس، وهذا يوافق الدعاء من الحديث الصحيح في حديث سليمان عليه السلام: (**وأسألك حكما يوافق حكمك**).

سليمان عليه السلام كان ملكا نبيا، قال تعالى: (**قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ**) [ص: ٣٥]. فإن بلغ ملك "ذي القرنين" مشارق الأرض ومغارها، فلن يتجاوز ملك سليمان عليه السلام، وإلا فهما شخص واحد

ـ أوتيا من كل شيء:

"ذو القرنين" آتاه الله تبارك وتعالى من كل شيء سببا، قال تعالى: (**وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا**) [الكهف: ٨٤].

سليمان عليه السلام أوتي هو وداود عليه السلام من الله تعالى من كل شيء، قال تعالى: (**وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ**) [النمل: ١٦].

ـ سلطهما الله على شياطين الجن:

قام "ذو القرنين" بحبس "يأجوج ومأجوج" تحت السد، وسوف نعلم مفصلا أنهم قوم ملعونون من شياطين الجن، قال تعال: (**قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا**) [الكهف: ٩٤].

سخر الله تعالى الشياطين لسليمان عليه السلام، فكان يصفدهم ويعذبهم، قال تعالى: (**وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاء وَغَوَّاصٍ * وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ**) [ص: ٣٧، ٣٨]. وقال تعالى: (**وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ**) [سبأ: ١٢].

ـ طافا العالم:

سافر "ذو القرنين" حول العالم، إلى مغرب الشمس، ومنها إل مطلع الشمس، ومنها إلى بين السدين، قال تعالى: (**حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ**) [الكهف: ٨٥]، قال تعالى: (**حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ**) [الكهف: ٩٠]، قال تعالى: (**حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ**) [الكهف: ٩٣].

سخر الله تعالى الخيل ذوات الأجنحة لسليمان عليه السلام، قال ابن كثير في تفسيره: (وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن بشار حدثنا مؤمل حدثنا سفيان عن ابيه سعيد بن مسروق عن إبراهيم التيمي في قوله عز وجل (**إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ**) قال: كانت عشرين فرسا ذات أجنحة كذا رواه ابن جرير). وسوف نشرح هذا مفصلا في موضعه بإذن الله تعالى.

ـ لديهما علم تطويع الحديد:

كان "الذي القرنين" علم تطويع الحديد، وكان علما جديدا، بدليل أنه علم الناس جمع زبر الحديد والنفخ فيه، قال تعالى: (**آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا**) [الكهف: ٩٦].

ورث سليمان داود عليه السلام، قال تعالى(**وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ**) [النمل: ١٦]. ومما ورثه عن داود عليه السلام تطويع الحديد، قال تعالى: (**وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ * أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**) [سبأ: ١٠، ١١].

ـ استخدما القطر:

استخدم "ذو القرنين" القطر وهو النحاس المذاب في تشييد الردم، قال تعالى: (**قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا**) [الكهف: ٩٦].

أسال الله لسليمان عليه السلام عين القطر، قال تعالى: (**وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ**) [سبأ: ١١].

ـ لهما مشيدات معمارية:

قام "ذو القرنين" بتشييد سد فوق قوم "يأجوج ومأجوج"، قال تعالى: (**قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا**) [الكهف: ٩٥].

كانت الشياطين تشيد لسليمان عليه السلام الأبنية والمحاريب، والتماثيل والجفان والقدور، وكلها شيدت من الحجارة، قال تعالى: (**وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاء وَغَوَّاصٍ**) [ص: ٣٧]. قال تعالى: (**يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاء مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ**) [سبأ: ١٣].

ـ لا يقبلان الهدية أو المال:

عرضوا على "ذي القرنين" خرجا فأبى، ورأى أن ما مكنه الله فيه خير من خرجهم، فنسب ما لديه لله تبارك وتعالى. قال تعالى: (**فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا * قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ**) [الكهف: ٩٤، ٩٥].

ولما أرسلت ملكة سبأ بهدية إلى "سليمان" عليه السلام، أبى ورأى أن ما آتاه الله خير من هديتهم. قال تعالى: (**فَلَمَّا جَاء سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ**) [النمل: ٣٦].



تسخير الريح:

لم تأتي كتب التفسير بنص من الكتاب أو السنة عن كيفية تسخير الريح لسليمان عليه السلام، وهذا من قوله تعالى: (**فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاء حَيْثُ أَصَابَ**) [ص: ٣٦]، بل حوت من الإسرائيليات ما مفاده أن الريح كانت تنقله من مكان إلى الآخر حيث أراد، وهذا قول لا دليل على صحته نقلا، ولا يستقيم عقلا أن تحمله الريح، إلا بمعجزة، والمعجزة تتعارض مع التسخير، فالتسخير يكون وفق وظيفة الريح، أما المعجزة فهي آية من الله تفوق الوظائف المعتادة للريح.

إنما ثبت بالسنة الصحيحة أن الله سخر له خيلا ذوات الأجنحة، فمن المفترض أن وظيفة الخيل أن تحمله حيث يشاء، مما يشهد على أن الريح لم تسخر لنقله على الإطلاق، لأن نقل البشر ليس من وظائف الريح، إنما من وظائف الريح تحريك السحاب، وتلقيح النباتات. ومن يتأمل النصوص المذكور فيها تسخير الريح لسليمان عليه السلام، يتبين له من ظاهر دلالة النص اللغوية، بعدها تماما عن مفهوم حمله من مكان إلى الآخر، قد تكون الريح (**تَجْرِي بِأَمْرِهِ**)، لكن لم يرد لفظ يشير إلى أنها كانت تحمله أو تنقله.

في قوله تعالى: (**حَيْثُ أَصَابَ**)، في لسان العرب: (وفي التتريل (**تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاء حَيْثُ أَصَابَ**)؛ أي حيث قصد...). كلمة (**أَصَابَ**) على وزن أَفْعَلَ، فالهمزة هنا زائدة، وتسمى (الألف اليابسة)، من مصدر صوب فقلبت الواو ألفا فصارت صاب.

في لسان العرب: (صوب: الصوب: المطر. صاب المطر صوبا، وانصاب: كلاهما انصب .. وقال الليث: الصب المطر. وصاب الغيث بمكان كذا وكذا، وصابت السماء الأرض: جادها. وصاب الماء وصوبه: صبه وأراقه؛ أنشد ثعلب في صفة ساقيتين: وحبشيين، إذا تحلبا، قالا نعم، وصوبا ... والصوب مثل الصيب، وتقول: صابه المطر أي أمطر. وفي حديث الاستسقاء: اللهم اسقنا غيثا صيبا؛ أي منهمرا متدفقا).

إذن نفهم لغة أن معاني جذر كلمة صاب هي: (صاب الغيث) أي مطر الغيث، (صابت السماء الأرض) أي مطرها، و(صاب الماء) أي صبه وأراقه، و(صابه المطر) أي أمطر. فإذا أضفنا (الألف) الزائدة في أصاب إلى معاني جذر الكلمة، يصير معناها أمطر بفتح الألف، أي أنزل المطر، فيكون معنى الآية أن الريح تجري بأمره حيث أراد صب المطر.

خاصة وأن الله تعالى ربط بين الرياح والسحاب والمطر فقال: (**اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاء كَيْفَ يَشَاء وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ**) [الروم: ٤٨]. وعلى ما ذكرناه من معنى أصاب، فالشاهد هنا من قوله تعالى: (**أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاء**) أي أمطر به من يشاء.

لا أحد يترل المطر إلا الله تعالى، فنقول أُمطرنا من الله بضم الألف، أي أنزل علينا المطر من الله. ولأن الله سخر لسليمان عليه السلام الريح، تجري بأمره، فصارت السماء تمطر بإذن وعلم ربه عز وجل، قال

تعالى: (وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ) [الأنبياء: ٨١]. فوجهة الريح كانت إلى الأرض التي بارك الله فيها، فلن يأمر الريح بالذهاب إلى الأرض المباركة إلا لخير، والخير الذي يصيب أي أرض هو المطر، هذا وإن جاز أن يأمرها بالتوجه بالسحاب إلى أي مكان شاء من العالم.

فإن كان سليمان عليه السلام يأمر الريح أن تجري بالسحاب لتروي الأرض حيث أراد أن تمطر، فهذا يتم بإذن الله تبارك وتعالى، كما أن الله تعالى اختص المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام بإحياء الموتى وإبراء المرضى بإذنه، قال تعالى: (وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللّهِ وَأُبْرِئُ الأكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِـي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) [آل عمران: ٤٩]. وقال تعالى: (وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوتَى بِإِذْنِي) [المائدة: ١١٠].

اقترن ذكر الريح في القرآن الكريم، بذكر السحاب، ومن ثم نزول المطر، هذا بخلاف اقترانها بذكر العذاب. إذن يفهم من ظاهر النص القرآني، أن الله تعالى سخر الريح لسليمان عليه السلام تجري السحب حيث أراد فتمطر، ويعم الرخاء وسعة العيش. أما أن يفهم من التسخير أنه يركب الريح على بساط ويطير به، فهذه أساطير نسجها اليهود من وحي خيالهم، وأشبه بمزاعم السحرة الذين تحملهم الشياطين فوق البساط السحري والمقشات وتحلق بهم في الفضاء، ولا يوجد نص صحيح أو ضعيف يثبت صحة شيء من تلك الأساطير. والحقيقة أن الريح لا تحمل أحدا من المخلوقات عن الأرض، خاصة إذا كانت (الرِّيحَ عَاصِفَةً) سريعة الحركة، فحتما ستهلك من تحمله. إنما كانت الريح تجري بالسحاب حيث أرادا صيبا أي مطرا، وإلى الأرض التي بارك الله فيها.

قال تعالى: (وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) [البقرة: ١٦٤].

قال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْموْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) [الأعراف: ٥٧].

قال تعالى: (وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ) [الحجر: ٢٢].

قال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء طَهُورًا) [الفرقان: ٤٨].

قال تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) [الروم: ٤٦].

قال تعالى: (اللَّهُ الَّذي يُرْسلُ الرِّيَاحَ فَتُثيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ في السَّمَاء كَيْفَ يَشَاء وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ منْ خلاَله فَإذَا أَصَابَ به مَن يَشَاء منْ عبَاده إذَا هُمْ يَسْتَبْشرُونَ) [الروم: ٤٨].

قال تعالى: (وَاللَّهُ الَّذي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَد مَّيِّت فَأَحْيَيْنَا بِه الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتهَا كَذَلكَ النُّشُورُ) [فاطر: ٩].

سرعة الريح:

وقد تعدد وصف الآيات القرآنية للريح فتارة بأنها (رُخَاء) في لسان العرب: (والرخاء: الريح اللينة). وتارة بأنها (عَاصفَةً) إذا اشتدت، فالريح وإن كانت تجري بأمره عاصفة شديدة السرعة، إلا أنها كانت ريحا لينة لا تدمر ولا تفسد، وهذه من آيات الله أن تجتمع في الريح الشدة واللين، والقوة والأمن. وقد حددت الآيات القدر الزمني الذي كانت تستغرقه مسيرة الريح، وبدقة متناهية (غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ) قال تعالى: (وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ) [سبأ: ١٢].

وعلى هذا يمكننا تقدير سرعة الريح، وبيان المسافة التي كان يمكن أن تقطعها، فإذا فرضنا جدلا أن حصانا يجري بسرعته المقدرة بحوالي ٧٠ كم في الساعة، متواصلا وبدون توقف، وبمعدل سرعة ثابت لا يتغير، وفي خط مستقيم، على أرض مستوية بلا جبال يتسلقها، ولا وديان يهبطها، فإن كانت (الروحة) من الصباح حتى الظهيرة، و(الغدوة) من الظهيرة حتى الغروب تقدر بحوالي ٦ ساعات، فإنَّ الحصان سوف يقطع مسافة ٤٢٠كم في فترة زمنية قدرها ٦ ساعات. وفي اليوم الواحد سيقطع ١٦٨٠ كم في خلال ٢٤ ساعة، وفي الشهر سيقطع مسافة ٥٠٤٠٠ كم خلال ٣٠ يوما. ففي حين يقطع الحصان في الروحة أو الغدوة مسافة ٤٢٠ كم، تكون الريح قد قطعت مسافة ٥٠٤٠٠ كم، أي ما يزيد عن محيط الكرة الأرضة والذي يقدر بحوالي ٤٠٠٧٥,١٦ كم. نخلص من هذا أن الريح إن كانت تسير بسرعة حصان، فإنه كان يمكنها أن تلف الكرة الأرضية في روحة، أو في غدوة، وهذا دليل على أن السماء كانت تمطر في زمن قصير، وبأمر من سليمان عليه السلام.

* * * * * *

الخيل ذوات الأجنحة:

إن السفر بين المشرق والمغرب في زمن مقدر أمر متعذر في تلك الأزمان الغابرة، إلا بآية من الله تبارك وتعالى، ومعجزة يجريها على يد "ذي القرنين"، فيحمله إلى تلك الأماكن بسرعة فائقة. حيث تطول المسافة برا وبحرا، بسبب ما سيعترضه من جبال شاهقة، ووديان سحيقة، وبحار محيطة شاسعة، وأجواء متقلبة، مما يجعل الرحلة شاقة مضنية، وتستغرق زمنا طويلا لا يعلم مداه إلا الله تعالى. لذلك لا يصح أن تتم رحلة "ذو القرنين" بوسائل تقليدية كالتي ينتقل بها سائر البشر من دواب وسفن، بل لابد وأن اختص بوسيلة آتاه الله إياها تعينه على فعل ذلك، قال تعالى: (**إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا * فَأَتْبَعَ سَبَبًا**) [الكهف: ٨٤، ٨٥]. ومن هذه الوسائل أن الله تعالى سخر "لذي القرنين" وهو سليمان عليه السلام (الخيل ذوات الأجنحة)، يمتطيها فتنطلق به محلقة في السماء إلى حيث شاء، وهي السبب أي الوسيلة التي كان يصل بها إلى كل بقاع الأرض.

في لسان العرب: (السبب: كل شيء يتوصل به إلى غيره؛ وفي نسخة: كل شيء يتوسل به إلى شيء غيره، وقد تسبب إليه، والجمع أسباب؛ وكل شيء به إلى الشيء، فهو سبب. وجعلت فلانا سببا إلى فلان في حاجتي وودجا أي صلة وذريعة).

قال ابن كثير في تفسيره: (وقال عبد الله بن عبيد بن عمير كان سليمان يأمر الريح فتجتمع كالطود العظيم كالجبل ثم يأمر بفراشه فيوضع على أعلى مكان منها ثم يدعو بفرس من ذوات الأجنحة فترتفع حتى يصعد على فراشه ثم يأمر الريح فترتفع به كل شرف دون السماء وهو مطأطئ رأسه ما يلتفت يمينا ولا شمالا تعظيما لله عز وجل وشكرا لما يعلم من صغر ما هو فيه في ملك الله عز وجل حتى تضعه الريح حيث شاء أن تضعه).

و لم يبين عبد الله بن عبيد عمن نقل قوله هذا! ولكن قوله: (يدعو بفرس من ذوات الأجنحة) أي كان لسليمان عليه السلام خيلا بأجنحة، هو قول يوافق ما ورد من حديث عائشة رضي الله عنها في سنن أبي داود قالت: (قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، من غزوة تبوك – أو خيبر – وفي سهوتها ستر، فهبت ريح فكشفت ناحية الستر، عن بنات لعائشة – لعب – فقال: (**ما هذا يا عائشة؟**) قالت: بناتي! ورأى بينهن فرسا له جناحان من رقاع، فقال: (**ما هذا الذي أرى وسطهن؟**) قالت: فرس، قال: (**وما هذا الذي عليه؟**) قالت: جناحان، قال: (**فرس له جناحان؟**) قالت: أما سمعت: أن لسليمان خيلا لها أجنحة؟ قالت: فضحك حتى رأيت نواجذه).

فسكوت النبي صلى الله عليه وسلم إقرار على ما قالته عائشة رضي الله عنها، على ما سمعته من أنه كان لسليمان عليه السلام خيلا بأجنحة، فإن صح أن سكوت النبي صلى الله عليه سلم عن إقرار، فاختصاص سليمان عليه السلام بهذه الخيول، دليل على تسخيرها له كما سخرت له شياطين الجن، فلم نعهد في دواب البشر و لم نجد في الحفريات أثرا لخيول ذوات أجنحة. فإن كان ذلك؛ فالغالب أنها كانت من خيول الجن، فلم تكن لأحد من بعده، وبموته عليه السلام رجعت من حيث أتت.

في حديث صححه الألباني من (مشكاة المصابيح) عن أبي ثعلبة الخشني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**الجن ثلاثة أصناف: صنف لهم أجنحة يطيرون في الهواء، وصنف حيات وكلاب، وصنف يحلون ويظعنون**). فللجن دواب يركبونها كما للبشر دواب، فلهم منها خيول، قال تعالى: (**وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ**) [الإسراء: ٦٤]. فقوله للشيطان وهو من الجن (**بِخَيْلِكَ**) يثبت أن للجن خيول يمتطونها. وبالجمع بين النصين، من أن للجن (**صنف لهم أجنحة يطيرون في الهواء**) وأن لهم خيل، فلا يمتنع من ذلك وجود خيل مجنحة، سخرها الله تعالى لسليمان عليه السلام.

قال ابن كثير في تفسيره: (وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن بشار حدثنا مؤمل حدثنا سفيان عن ابيه سعيد بن مسروق عن إبراهيم التيمي في قوله عز وجل (**إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ**) قال: كانت عشرين فرسا ذات أجنحة كذا رواه ابن جرير.)

وفي الجنة يرزق الله تعالى أولياءه خيولا مجنحة، ففي (البدور السافرة) بإسناد جيد عن عبد الرحمن بن ساعدة قال: كنت أحب الخيل فقلت: يا رسول الله هل في الجنة خيل؟ فقال: (**إن أدخلك الله الجنة كان لك فيها فرس من ياقوت له جناحان تطير بك حيث شئت**).

وبكل بد فما سمعته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن هذه الخيل المجنحة، وكانت لا تزال صغيرة تلعب، يدل على أنه قول سائد، كان يتردد على ألسنة الناس، فقد سترت سهوة لها بقرام فيه الخيل ذوات الأجنحة.

قالت عائشة رضي الله عنها: (دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سترت سهوة لي بقرام فيه تماثيل، (وفي رواية : فيه الخيل ذوات الأجنحة)، فلما رآه هتكه، وتلون وجهه، وقال: (**يا عائشة! أشد الناس عذابا عند الله يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله**، (وفي رواية: **إن أصحاب هذه الصور يعذبون، ويقال لهم: أحيوا ما خلقتم**)، ثم قال : (**إن البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة**)، قالت عائشة: فقطعناه فجعلنا منه وسادة أو وسادتين، [فقد رأيته متكئا على إحداهما وفيها صورة]. أخرجه البخاري ومسلم والزيادة الأخيرة لأحمد سندها على شرط مسلم.

وفي صحيح النسائي، قالت عائشة رضي الله عنها: (خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجة، ثم دخل، وقد علقت قراما فيه الخيل أولات الأجنحة، قالت : فلما رآه قال : (**انزعيه**)).

فالله تعالى آتى سليمان عليه السلام من كل شيء، ولكن حدد هذه الأشياء قال تعالى: (**وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا * فَأَتْبَعَ سَبَبًا**) [الكهف: ٨٤، ٨٥]. ذكر ابن كثير في تفسيره: (وقال مجاهد: (**فَأَتْبَعَ سَبَبًا**) منزلا وطريقا ما بين المشرق والمغرب، وفي رواية عن مجاهد (**سَبَبًا**) قال: طرفي الأرض). وإن صح كلام ابن كثير رحمه الله، إلا أن كلمة (**سَبَبًا**) تكررت مرتين في آيتين متتاليتين، بما يفيد وحدة دلالتها، ويدخل فيها تسخير الله تعالى الخيل ذوات الأجنحة يحلق بها في الجو، وينطلق بها من مكان إلى آخر.

* * * * * *

توجهات رحلة "ذو القرنين":

بدراسة رحلة "ذو القرنين" حول العالم، سنكشف حقائق كانت مجهولة، وأصول جغرافية تم تحريفها لتتعارض مع حكم الله تعالى، ولتخالف نص القرآن الكريم، مثل مركز الأرض ويقع في "مكة المكرمة"، وأمسى شمال الأرض يسمى جنوبا، وجنوبها يسمى شمالا. ومعالم جغرافية كانت مجهولة فيما مضى، واكتشفت حديثا مثل قارة أمريكا وأستراليا. ومشيدات في مواقع جغرافية محددة، مجهول سبب إنشاءها، وكيف تم بناءها، مثل أهرامات الجيزة في مصر. وهذا يحتاج منا إلى تأمل وتبصر في دلالات كل كلمة ومعانيها، والربط بين مجمل معاني الآيات واكتشاف علاقات الربط فيما بينها.

قال ابن كثير (وقوله (**حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ**) أي فسلك طريقا حتى وصل إلى أقصى ما يسلك فيه الطريق من ناحية المغرب وهو مغرب الأرض، وأما الوصول إلى مغرب الشمس من السماء فمتعذر). فإذا اتفقنا أن "ذو القرنين" هو نفسه "سليمان" عليه السلام، وقد سخر الله تعالى له الخيل ذوات الأجنحة، إذن فليس متعذر عليه أن يصل إلى مغرب الشمس من المحيط السماوي للأرض، دون أن يسلك الطرق والدروب المعتادة، وهذا يختزل له زمن الرحلة، ويجعل وجهته في خط مستقيم لا يحيد عنه.

لأن رحلته ستمتد إلى مغرب الشمس ثم يستمر حتى مطلعها من جهة الشرق، ثم يستمر حتى يصل بين السدين، قال تعالى: (**وَآتَيْنَاهُ من كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا * فَأَتْبَعَ سَبَبًا**) [**الكهف**: ٨٤، ٨٥]. ذكر ابن كثير في تفسيره: (وقال مجاهد: (**فَأَتْبَعَ سَبَبًا**) منزلا وطريقا ما بين المشرق والمغرب، وفي رواية عن مجاهد (**سَبَبًا**) قال: طرفي الأرض).



رسم بياني يوضح مواقع ومسار رحلة "ذو القرنين"

من تكرار قوله تعالى (**فَأَتْبَعَ سَبَبًا**) من أوسط الأرض حتى بلغ مغرب الشمس، (**ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا**) من المغرب حتى بلغ مطلع الشمس، (**ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا**) من مطلع الشمس حتى بلغ بين السدين، يستفاد منه أن "ذي القرنين" كان مستمر في إتباع نفس الطريق بترتيب المواقع، دون أن يرتد من حيث بلغ، لأن (**ثُمَّ**) تفيد الترتيب، وهذا مما يثبت كروية الأرض، وهذا من إعجاز القرآن الكريم، ودليل على صدق بيانه.

وفي قوله تعالى (**أَتْبَعَ**) لفظ نعلم منه أن "ذي القرنين" كان هدفه إلحاق العقاب بالأقوام الذين يقصدهم بوجهته، مما يعني أنه كان لديه علم بحالهم قبل ارتحاله إليهم، حيث لم ترد (**أَتْبَعَ**) بهذا اللفظ في القرآن الكريم إلا وألحقت بعذاب أو شر، فحكمه الله تعالى فيهم، إما أن يعذبهم وإما أن يتخذ فيهم حسنا، قال تعالى: (**قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا**) [الكهف: ٨٦]. وإن كان قوله ملحقا بقوم المغرب، إلا أنه يسري على سائر الأقوام.

وقد قطع "ذو القرنين" على نفسه عهدا بأن يلحق العذاب بالظالمين، والظلم هنا هو الشرك، مما يدل على أنهم كانوا قوما وثنيين، قال تعالى: (**قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا**) [الكهف: ٨٧]، وكذلك قصد بين السدين ليردم على قوم "يأجوج ومأجوج"، وهذا عذاب لهم لأنه يحول بينهم وبين خيرات سطح الأرض ونعيمها، قال تعالى: (**قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا**) [الكهف: ٩٥]، أما قوم مطلع الشمس فهم في عذاب مقيم، فلا ستر لهم يحميهم من وهج الشمس وحرها، ولا مأوى يلجئون إليه، فلم تذكر الآيات أنه ألحق بهم عقابا ، مما يعني أنهم قوم ضالون معرضون، فتركهم فيما هم فيه من عذاب مقيم.

وهذا العهد الذي قطعه "ذو القرنين" على نفسه، بتعذيب الظالمين والمشركين، قال تعالى: (**قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا**) [الكهف: ٨٧]، يذكرنا بوعيد سليمان لملكة سبأ وقومها الذين كانوا ظالمين مشركين (**يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ**) [النمل: ٢٤]، فتوعدهم بحمل جنوده عليهم، وفيهم (**جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ**) [النمل: ١٧]، فقال تعالى: (**ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لاَّ قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ**) [النمل: ٣٧]. فكان يتتبع المشركين في مشارق الأرض ومغاربها، وهذا ما يدعم القول بأن "ذو القرنين" هو نفسه "سليمان" بن داود عليهما السلام.

في لسان العرب: (وأتبع فلان فلانا إذا تبعه يريد به شرا كما أتبع الشيطان الذي انسلخ من آيات الله فكان من الغاوين، وكما أتبع فرعن موسى).

قال تعالى: (**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ**) [الأعراف: ١٧٥].

قال تعالى: (**وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا**) [يونس: ٩٠].

قال تعالى: (**وَأُتْبِعُواْ فِي هَـذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلاَ بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ**) [هود: ٦٠].

قال تعالى: (**وَأُتْبِعُواْ فِي هَـذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ**) [هود: ٩٩].

قال تعالى: (**إِلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ**) [الحجر: ١٨].

قال تعالى: (**فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ**) [طه: ٧٨].

قال تعالى: (**ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاء أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ**) [المؤمنون: ٤٤].

قال تعالى: (**فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ**) [الشعراء: ٦٠].

قال تعالى: (**وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ**) [القصص: ٤٢].

قال تعالى: (**إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ**) [الصافات: ١٠].

الكعبة مركز الأرض قديما وإلى يوم الدين:

ذكر تعالى أن "ذي القرنين" وصل إلى مغرب الشمس، قال تعالى: (**حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا**) [الكهف: ٨٦]، وهذا يعني أنه انطلق من مملكته الواقعة في مكان وسط بين المشرق والمغرب، هذا إذا اعتبرنا "مكة المكرمة" هي مركز الأرض منذ خلق الله الأرض ومن عليها، بدليل أن فيها أول بيت وضع للناس، قال تعالى: (**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ**) [آل عمران: ٩٦]. وقوله (**وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ**) تشمل مجمل أنواع الهداية، فهو قبلة المصلين، يلتفون حوله من كل أنحاء العالم، قال تعالى: (**قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوِهَكُمْ شَطْرَهُ**) [البقرة: ١٤٤]، وهو وجهة الحجيج منذ آدم عليه السلام إلى يومنا هذا، حتى انخلع اليهود وتبعهم النصارى من أداء فريضة الحج وأعطاه الله لنا. فالحج فريضة أداها جميع أنبياءهم، هذا وإن لم يرد نص جامع لهم، ففرائض الأعيان ملزمة لكل الرسل والأنبياء، قال تعالى: (**وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ**) [الحج: ٢٧]. فهو ليس هدى للمؤمنين فقط، بل (**وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ**) مؤمنهم وكافرهم، ففيه آيات بينات لكل كافر معرض فيؤمن، ولكل مؤمن فيزداد إيمانا، قال تعالى: (**فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ**) [آل عمران: ٩٧]. ومن هذه الآيات مقام إبراهيم، والحجر الأسود، وبئر زمزم، وقرني كبش إسماعيل عليه السلام (قيل احترق!).

قد يختلف البعض إلى خريطة العالم اليوم، وببعض الحسابات البسيطة يمكن أن يبطل القول بأن الكعبة هي مركز الأرض اليوم، إلا أنه لا عبرة بالوضع الجغرافي الحالي للأرض، وما عليها من معالم جيولوجية، فالعبرة بصورة الأرض وحالتها الجيولوجية يوم خلقها الله تعالى، ووضع أول بيت للناس يفدون إليه، فمكة هي "أم القرى" ومركز الأرض، إذا ما تجنبنا ما آلت إليه الأرض من متغييرات، واستمرار تحرك قارات العالم وانفصالها عن بعضها البعض منذ ملايين السنين حتى اليوم، وستظل "الكعبة" هي مركز الأرض مهما تغيرت المعالم الجغرافية والتكوينات الجيولوجية لسطح الأرض.

يجب تحديد الاتجاهات الأربعة حسب موقع "الكعبة" من العالم، باعتبارها المركز الرئيسي، شمال الكعبة وجنوبها، وشرق الكعبة وغربها. بدليل أن التقويم القمري ينضبط عالميا برؤية هلال "ذي الحجة" لمكة المكرمة. فمهما اختلفت البلدان في رؤيا الهلال للأشهر القمرية، إلا أنها لا يمكن أن تختلف حول هلال "ذي الحجة" لأنه إعلان عالمي لموسم أداء شريعة الحج. فكل ما هو من جهة شرق الكعبة فهو مشرق، وكل ما هو غربها فهو مغرب، وكل ما هو شمال الكعبة يقال شمال، وما هو جنوبها جنوب.

المركز المقابل للأصل:

تقع الكعبة وفق الإحداثيات الجغرافية في 21.05 25 21 **شمالا**، 34.32 49 39 **شرقا**، وهناك أيضا (المركز المقابل للأصل)، وهو المركز المقابل للكعبة من الجهة المقابلة لها من الكرة الأرضية، والواقف فوق هذه النقطة يمكنه الصلاة صوب الكعبة في جميع الجهات، فحيثما وليت وجهك فأنت متجه صوب القبلة.

بينما يقع المركز المقابل للأصل قرب جزيرة تيماتانجي Tematangi، وهي جزيرة مرجانية تقع جنوب شرق أرخبيل تواموتو Tuamotu، الذي يتبع مستعمرة بولينيزيا الفرنسية French Polynesia الواقعة في المحيط الهادي. ويقع المركز المقابل للأصل وفق الإحداثيات الجغرافية في 21.05 25 21 **جنوبا**، 25.68 10 140 **غربا**.



صور توضح إحداثيات المركز الأصلي والمركز المقابل للأصل

من استقبل الكعبة استدبر المركز المقابل للأصل، ومن استقبل المركز المقابل للأصل استدبر الكعبة، لذلك أحسب والله تعالى أعلى وأعلم أن إبليس واضعا عرشه على المركز المقابل للأصل، بحيث يستقبله بالسجود كل من عبده من دون الله، مستدبرا الكعبة المشرفة معرضا عنها. وكل من استقبل الكعبة المشرفة فقد استدبر عرش إبليس، وأعرض عنه. فقد ثبت بروايات صحيحة أن إبليس يضع عرشه على البحر، حوله الحيات مستدبرة القبلة تطوف حوله في ندية للطواف بالكعبة المشرفة. يغلب لدي الظن أنها حيات من شياطين الجن، وليست حيات إنسية والله أعلم.

صح عن أبي سعيد الخدري في شأن ابن صياد وكان يظن أنه الدجال في (صحيح مسلم)، لقيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر في بعض طرق المدينة. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**أتشهد أني رسول الله؟**) فقال هو: أتشهد أني رسول الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**آمنت بالله وملائكته وكتبه. ما ترى؟**) قال: أرى عرشا على الماء. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**ترى عرش إبليس على البحر. وما ترى؟**) قال: أرى صادقين وكذابا أو

كاذبين وصادقا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**لبس عليه. دعوه**). وفي رواية : لقي نبي الله صلى الله عليه وسلم ابن صائد ، ومعه أبو بكر وعمر . وابن صائد مع الغلمان .

في رواية عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابن صياد: (**ما ترى؟**). قال: أرى عرشا على البحر وحوله الحيات. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**أرى عرش إبليس**). رواه أحمد وفيه علي بن زيد وهو حسن الحديث، وبقية رجاله ثقات.

إن وضع إبليس عرشه فوق المركز المقابل للأصل يكون مستقبلا الكعبة بالعداوة والندية، بصفته قائدا أعلى لأعداء الدين، يبث سراياه من المركز المقابل للأصل، ليفتن كل من أدبر عنه متجها إلى المركز الأصلي، ففي صحيح مسلم عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه مترلة أعظمهم فتنة. يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا. فيقول: ما صنعت شيئا. قال: ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته. قال: فيدنيه منه ويقول: نعم أنت**). قال الأعمش أراه قال: (**فيلتزمه**).

وهذا أراه أصوب من القول بأن عرش إبليس على "مثلث بارمودا". خاصة وأن "جزائر البحر" أو أرخبيل تواموتو يقع تحت سيطرة فرنسا رائدة الماسونية وعبادة الشيطان في العالم كله. حقيقة إن منطقة "مثلث بارمودا" تقع فيها أحداث غريبة كاختفاء سفن وطائرات وأشخاص، لكن هذا ليس مبرر كافي للقول بأن عرش إبليس يقع في تلك المنطقة، قد تكون منطقة "بارمودا" لها علاقة بنشاط شيطاني، لكن الأصوب أن يختار إبليس مكانا لعرشه يتوافق مع معتقداته الخاصة، ونديته لله تعالى، وبالتالي فلن يخرج مكان عرشه عما ورد في السنة من أحاديث. وجهلنا بنشاط إبليس في المركز المقابل للأصل، يتوافق ودأبه التخفي وستر كيده، ليس وحده فقط، بل كل قبيله على هذا النحو يتبعون التخفي عن أعين البشر، قال تعالى: (**إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ**) [الأعراف: ٢٧].

إذا كان كيد الشيطان ضعيفا أمام كيد الله تعالى: (**إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا**) [النساء: ٧٦]، فإن كيد الشطيان علينا أعظم بتخفيه عنا، ما لم نستعذ بالله حق الاستعاذة، قال تعالى: (**وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**) [الأعراف: ٢٠٠]. فحينها كيد الله تعالى الغالب لكل كيد. قال تعالى: (**إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا * فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا**) [الطارق: ١٥: ١٧].

على كل حال فمسألة وجود عرش إبليس على "المركز المقابل للأصل" تحتاج إلى بحث مستقل، ومستفيض، لجمع الأدلة الشرعية، والقرائن المادية، لإثبات صحة وجهة النظر. وآثرت ذكرها هنا أخذا بالحيطة من كيد الشيطان، ولفتا للانتباه إلى أهميتها كنقطة تهم المسلمين جميعا، وغفل الغالبية عن الاهتمام بها، ولارتباطها بشكل ما برحلة سليمان عليه السلام الذي سخر الله له شياطين الجن.

ويبقى هناك سؤال يلح في ذهن الباحث، هل مر ذو القرنين سليمان عليه السلام في رحلته من مغرب الشمس إلى مطلعها بالمركز المقابل للأصل؟ وهل كان له شأن مع إبليس ومردة الشياطين في هذه المنطقة تحديدا؟ على أي حال أسأل الله تعالى أن يهديني ويوفقني والمسلمين جميعا في البحث عن إجابات لهذه التساؤلات بإذن الله تبارك وتعالى.

* * * * * *

مغرب الشمس:

انطلق "ذو القرنين" في رحلته حول العالم متوجها نحو الغرب من الكرة الأرضية، حتى وصل إلى مغرب الشمس، قال تعالى: (**حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا * قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا * وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاء الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا**) [**الكهف**: ٨٦، ٨٨].

وقوله تعالى (**حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ**) دل على أنه بلغ أقصى أرض تغيب عندها الشمس، بدليل أنه وجد الشمس (**تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا**)، فوجود القوم يدل على أنه بلغ أقصى يابسة مأهولة بالبشر من جهة الغرب، وليس بعد آخر أرض معمورة إلا البحر المحيط، مما يدل على أن تلك العين الحمئة، تطل على منطقة ساحلية. وتتميز هذه الأرض عن غيرها بمعلم هام وهو (**عَيْنٍ حَمِئَةٍ**) أي فوهة بركان وحلي، عند الحدود الغربية لقارة أمريكا الشمالية. حيث تكثر فوهات الوحل البركاني، على امتداد الشاطئ الغربي للقارة الأمريكية.

العين الحمئة:

إن قوله تعالى: (**وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ**) لا يفيد أن الشمس تغيب في داخل تلك العين، فحرف (**في**) يفيد الظرفية، بمعنى وجدها تغرب عند عين حمئة. فذكر تعالى العين الحمئة كأهم معلم جيولوجي يحدد الموقع الجغرافي حيث تغيب فيه الشمس، قوله تعالى (**عَيْنٍ حَمِئَةٍ**) ينقسم من جهة المعنى والدلالة إلى قسمين لا ينفصل أحدهما عن الآخر (**عَيْنٍ**) و(**حَمِئَةٍ**)، ولكي نتفهم دلالة الجملة، يجب علينا دراسة معنى كل كلمة على حدهما، ثم بعد ذلك ندرس دلالة معاني الكلمتين مجتمعتين.

قوله (**عَيْنٍ**) هنا هي (عين الماء) وفي لسان العرب: (العين التي يخرج منه الماء، والعين ينبوع الماء الذين ينبع من الأرض ويجري ...).



وصف الله تعالى عين الماء هذه بقوله (**حَمِئَةٍ**) ولها معنيان حسب ما ورد في لسان العرب:

الأول: (الطين الأسود المنتن). ويقال كذلك (وحمئت البئر حمأ، بالتحريك، فهي حمئة إذا صارت فيها الحمأة وكثرت).

الثاني: (وقرأ ابن مسعود وابن الزبير: حامية، ومن قرأ حامية بغير همز، أراد حارة، وقد تكون حارة ذات حمأة، وبئر حمئة أيضا، كذلك).

بالجمع بين المعنيين نستطيع التوسع في تفاصيل قوله تعالى (**عَيْنٍ حَمِئَةٍ**)، إذن فمعنى (عين تنبع بطين أسود حار)، وهذه الأوصاف بالمفهوم العلمي المعاصر تتوافق مع مفهوم "فوهة بركانية Volcanic crater"، ولكن الصهارة أو الحمم Lava الخارجة من الفوهة طينية حارة وليست نارية كطبيعة أي بركان.



بالربط بين مفهوم عين الماء والطين والحرارة، إذا فالعين الحمئة هي ما يصطلح عليه بالمفهوم العلمي المعاصر Hydrothermal المعروف باسم " الوحل البركاني Mud volcanic"، فيكون معنى (**عَيْنٍ حَمِئَةٍ**) هو "فوهة الوحل البركاني Mud volcanic crater" والتي هي عبارة عن فوهة بركان طين غازي، يتشكل من سوائل وغازات مضغوطة. الغازات الصادرة منه حوالي ٨٦٪ ميثان، مع ثاني أكسيد الكربون والنتروجين أقل بكثير. المواد المتدفقة منه غالبا ما تكون طين يتكون من مواد صلبة ناعمة، وسوائل تتضمن ماء (حامضي أو شديد الملوحة) وسوائل هيدروكربونية. لهذا السبب يعتبر ثوران غاية في الخطورة إذا ما حدث أثناء هطول أمطار غزيرة، أو حتى عندما يكون البركان مغطى بالثلوج الدائمة، فتتسبب درجة حرارة البركان المرتفعة في إذابة الثلوج.

نخلص من هذا أن العين الحمئة تقع قرب شاطئ القارة الأمريكية، وتحديدا في شمال غرب القارة الأمريكية، حيث أنها منطقة مكسوة بالثلج، والذي يذوب مع الرماد البركاني مكونا الطمي أو ما يصطلح عليه الوحل البركاني. ولكن على كل الأحوال من العسير تحديد العين المذكورة في القرآن الكريم، لأن العيون الوحلية أعمارها محدودة، فتجف وتزول مع مرور الزمن نتيجة عوامل التعرية، ويظهر غيرها في موضع آخر، المهم في الأمر أنها عادة ما تظهر وتختفي في مناطق متقاربة.

حتى لا يختلط علينا الأمر، فهناك فارق بين الوحل البركاني كما تقدم، وبين الحمم البركانية: وهي ما تلفظه البراكين من كتل حارة سائلة، وتبلغ درجة حرارتها بين ١٠٠٠ م و ١٢٠٠م . وتختلف طبيعتها ومظهرها حسب تركيبها الكيميائي، وهي على نوعان:

حمم خفيفة فاتحة اللون: وتتميز بلزوجتها الفائقة، وبطئ تدفقها تتراكم وترتفع مكونة لبرج فوق الفوهة بلغ ارتفاعه نحو ٣٠٠ م ، كما حدث في بركان بيلي (في جزر المرتنيك في البحر الكاريبي) عام ١٩٠٢.

حمم ثقيلة داكنة اللون: وهي حمم بازلتية، تتميز بسيولتها، وسرعة تدفقها. وتنساب من البراكين فوق مساحات شاسعة مكونة هضاب فسيحة، مثل هضبة الحبشة وهضبة الدكن بالهند وهضبة كولومبيا بأمريكا الشمالية.

فعلى فرض أن المقصود مجرد بركان تقليدي لقال (وجدها تغرب في عين حميم)، أي فوهة بركانية، نسبة إلى الحمم البركانية، وكلمة (حميم) هي لفظ قرآني صريح، يدل على معنى الحمم السائلة، ولكن اللفظ جاء غاية في التحديد والدقة (**عَيْنٍ حَمِئَةٍ**)، وبالجمع بين القراءات المختلفة والمعاني المتعددة، فهو طين حار، وهذا ينفي أنها مجرد حمم بركان، بل ينطبق عليها وصف وحل بركاني. مما يدل على وجود فارق بين معنى كلمة (**حَمِئَةٍ**)، ومعنى كلمة (**حَمِيم**).

قال تعالى: (**لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ**) [الأنعام: ٧٠].

قال تعالى: (**وَالَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ**) [يونس: ٤].

قال تعالى: (هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ) [ص: ٥٧].

قال تعالى (كَغَلْيِ الْحَمِيمِ) [الدخان: ٤٦].

قال تعالى: (ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ) [الدخان: ٤٨].

قال تعالى: (وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ) [محمد: ١٥].

قال تعالى: (فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ) [الواقعة: ٥٤].

تنتشر البراكين فوق نطاقات طويلة على سطح الأرض أظهرها: النطاق الذي يحيط بسواحل المحيط الهادي والذي يعرف أحيانا بحلقة النار، فهو يمتد على السواحل الشرقية من ذلك المحيط فوق مرتفعات الأنديز إلى أمريكا الوسطى والمكسيك، وفوق مرتفعات غربي أمريكا الشمالية إلى جزر الوشيان ومنها إلى سواحل شرق قارة آسيا إلى جزر اليابان والفلبين ثم إلى جزر إندونيسيا ونيوزيلندا.



من أهم البراكين الوحلية في قارة أمريكا الشمالية تتضمن:

براكين شرب الوحلية Shrub و كلاواسي Klawasi في كوبر ريفر Copper River جبال رانجيل Wrangell، في ألاسكا بالولايات المتحدة الأمريكية. المواد المشعة في الغالب CO2 والنتروجين، ترتبط البراكين بعمليات الانصهار.

بركان وحلي بغير مسمى على ارتفاع ٣٠ متر وذو قمة بعرض ١٠٠ متر، على بعد ٢٤ كم من شاطئ ريدوندو Redondo، بكاليفورنيا، و ٨٠٠ متر تحت سطح المحيط الهادي.

بركان وحلي ذو مجال صغير (٣ أمتار) في بحر سالتون Salton المنطقة الحرارية الرضية بالقرب من بلدة نيلاند Niland. الإشعاعات في الغالب CO2.

بركان سموث ريدج الوحلي Smooth Ridge على ١,٠٠٠ متر من الماء بالقرب من مونتري كانيون Monterey Canyon، بكالفورنيا.

بركان كاجلوليك الوحلي Kaglulik ٤٣ متر تحت سطح بحر بيوفورت Beaufort Sea، بالقرب من الحد الشمالي لألاسكا وكندا. يعتقد وجود مصادر نفطية في المنطقة.

بركان ماكينا الوحلي Maquinna ، واقع على ١٦ ــ ١٨ كيلومتر غرب مــن فــانكوفر، كولومبيا البريطانية، كندا.



فوهة بركــان وحلــي يصعد طــالبي العــلاج الطبيعي لعلاج أمراضهم الجلدية



البعض يستحم في داخل فوهات الوحل البركاني لعــــلاج الأمـــــراض الجلدية!!

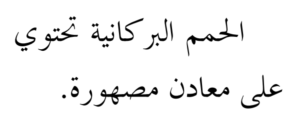


عبادة البراكين:

وقد أشارت الآيات إلى أن القوم عند العين الحمئة كانوا ظالمين، قال تعالى: (**قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا**) [الكهف: ٨٧]، وأعظم ظلم العبد الذي يستوجب أن (**يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا**) هو الشرك، فالشرك هو الظلم الأعظم، قال تعالى: (**وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**) [لقمان: ١٣]، قال الله تعالى (**عَيْنٍ حَمِئَةٍ**)، ثم أردف مشيرا إلى الظلم كناية عن الشرك، وهذا يدل على وجود علاقة بين العين الحمئة والشرك بالله تعالى، وهذه هي عبادة البراكين Volcanoes warship.

إن كلمة (بركان) ليست عربية، إنما هي لفظ معرب من كلمة فولكانو volcano، وهو اسم مشتق من اسم الإله "فولكان Vulcan" إله النار والحديد في الأساطير الرومانية. وهو ليس فقط إله النار، وإنما هو أيضا إله الحديد والبرونز، والذهب والفضة، وجميع المواد القابلة للانصهار، حيث يعتقدون أن البركان كان مدخنة كير حداد الآلهة. وله عيد يحتفل به في ٢٣ أغسطس. أي في أيام الصيف القائظ، ويستمر ثمانية أيام متتالية تقام فيها الألعاب، وتقدم له القرابين، عادة من السمك، بأن تلقى في النار وتلتهمها النيران فلا تبقي منها شيء للوليمة المقدسة. وتسمى هذه الاحتفالات في روما Vulcania أو Volcanalia.





الحمم البركانية تحتوي على معادن مصهورة.

قديما لم تعرف البشرية بعد تطويع الحديد، ولا صهر المعادن وسباكتها، إنما عرفوا (**زُبَرَ الْحَدِيدِ**)، وهي ما يعرف بالحجارة النيزكية كما سنبين في موضعه. فكان يتم تشكيل المعادن بطرق بدائية تعمد على نحت الحجارة، وطرق المعادن، فما عرفوا تشكيل المعادن بالسباكة إلا على يدي داود وسليمان عليهما السلام. حيث لم يعرف الإنسان المعادن في صورتها السائلة إلا في صورة حمم تسيل من البراكين، مما يتعذر معه الاستفادة منها بتطويعها وتشكيلها قبل أن تبرد و تصبح شديدة الصلابة، إلا في حدود ضيقة، لكنها بكل تأكيد لا تحتوي على معدن صاف خال من الشوائب.

حيث لم يتوصلوا بعد إلى طريقة لبناء أفران لإحماء النار، وتسعيرها من أجل الوصول بها إلى درجة حرارة مرتفعة لصهر المعادن. وكانت البراكين هي المصدر الوحيد للحصول على المعادن المـــصهورة. ومن هنا عظمها الشيطان في أنفس الناس وأوحى لهم بعبادتها، ونحتوا لها التماثيل، فـــصوروا الإلـــه هيفايستوس Hephaestus إله النار والحدادة اليوناني المكافئ للإله الروماني فولكان على صـــورة حداد، وعندما يعمل الحداد يثور بركان وتطاير منه الحمم. فلم يكن هناك إله واحد للبراكين، بل في كل مكان من أنحاء العالم اتخذوا من البراكين إلها معبودا من دون الله عز وجل.

إن عبادة البراكين وآلهة وربات النار هي عبادة وثنية عالمية موغلة في القدم، حيث تنتشر عبادة الربة بيليه Pele وتنطق PEH-leh وليس PAY-lay، وهو إله النار والبرق والرقص والبراكين والعنف، في أساطير بولينيزيا في جزر هاواي Hawaii التابعة للولايات المتحدة الأمريكيـــة، ويوجـــد بركـــان Kilauea على الجانب الجنوبي لجزيرة هاواي الأكثر نشاطا. وهيستيا Hestia ربة النار اليونانيـــة او Vesta الرومانية، وإله النار الياباني هو ــ ماسوبي / كاجو ــ تسوشي Ho-Masubi / Kagu-Tsuchi. وإله النار الهندوسي آجني Agni.

حتى بعث الله تبارك وتعالى داود عليه السلام علم فألان له الحديد، يصنع منه الـــدروع لتحـــصن الناس من ضرب السيوف وطعنات الحراب، قال تعالى: (**وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِـــي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ * أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُـــونَ بَصِيرٌ**) [سبأ: ١٠، ١١]، وقال تعالى: (**وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِـــكُمْ فَهَـــلْ أَنـــتُمْ شَاكِرُونَ**) [الأنبياء: ٨٠]، وورثه سليمان عليه السلام، فأسال له عين القطر، أي النحاس المذاب، قـــال تعالى: (**وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ**) [سبأ: ١٢].

وبهذا العلم المعجز حينها، انكشف للناس عدم قدسية البراكين وأنها ليست بآلهة، لأن الإنسان يمكنـــه بالعلم تطويع المعادن، بل وصهرها أيضا، وذلك عن طريق النفخ في النار، فعرفت أفران صـــهر المعـــادن. وأي ادعاء مخالف لما أثبته الله تعالى من سبق نبيه سليمان وأبيه داود عليها السلام إلى تطويع المعـــادن هـــو ادعاء باطل، ولا أساس له من الصحة. لذلك فتقسيمات تاريخ البشرية من عـــصر حجـــري إلى عـــصر نحاسي إلى برونزي بدون أن تقرن بذكر داود وسليمان عليهما السلام فهو تقسيم يعارض ثوابت القـــرآن الكريم. لذلك فكل تاريخ البشرية عبثت فيه يد التحريف، ويجب أن يعاد صياغته وفق الكتاب والسنة.

عبادة البركان عند الهنود الحمر:

أما في شمال غرب الولايات المتحدة فقد عبد الهنود الحمر بركان جبـــل مازامـــا Mazama، ويعتقدون أن الإله "لاؤ Llao" هو إله العالم السفلي في أساطير قبيلـــة "كلامـــات Klamath" الأمريكان الأصليين، خاض لاؤ معركة طاحنة مع رب السماء، "سكيل Skell"، التي تـــسببت في انفجار جبل مازاما مكونا فوهة البحيرة. يروي الكلاماثيون العديد من قصص الأرواح (الـــشياطين) القوية لاؤ وسكيل Llao and Skell. لاؤ كان روح العالم السفلي الذي عـــاش تحـــت جبـــل مازاما. سكيل كان روح السماء "العالم العلوي". تروي القصص بأن لاؤ كان قادرا علـــى عبـــور الفوهة الارتفاع إلى قمة جبل مازاما حيث يمكنه لمس النجوم حيث يعيش سكيل. توابـــع الـــرواح استطاعا أن يتخذوا أشكال حيوانات كما يقال أشبه بالأيل، وثعلب، وحمامة، وهم يلعبون سوية.

أعاقت الانهيارات الجليدية النارية أحيانا حياة الأمريكان الأصليين بالقرب من جبل مازاما Mazama (قبل فوهة بحيرة البركان) بأكثر من ٦,٠٠٠ سنة مضت. فسر هؤلاء الناس إنفجارات مازاما العنيفة قبل الانهيار على أنها حرب بين إلهين. لاؤ وسكيل. في الحقيقة، الشاهد الأثري يوحي بأن البشر شهدوا تحول هذا الحدث عنيف. في الزمن التاريخي حرم الأطباء السحريين على معظم الهنود النظر إلى البحيرة، و لم يقدم الهنود أية معلومات حول البحيرة للرواد الذين عبروا خلال المنطقة منذ ٥٠ سنة بدون اكتشافها.

حظت البحيرة والمنطقة المحيطة بها بتوقير الكلاماثيون، فتحفظوا عليها مجهولة من قبل المكتشفين البيض حتى سنة ١٨٥٣. في ١٢ يونيو من تلك السنة قام ثلاثة منقبين عن الذهب جون ويسلي هيلمان John Wesley Hillman، وهنري كليبل Henry Klippel، وإيزاك سكيترز Isaac Skeeters، ارتقوا إلى أعلى منحدر الجبل مباشرة. حتى إذا بلغوا إلى أعلى نقطة له، أصابتهم رهبة حثيثة عندما شوهدت ضخامة البحيرة.

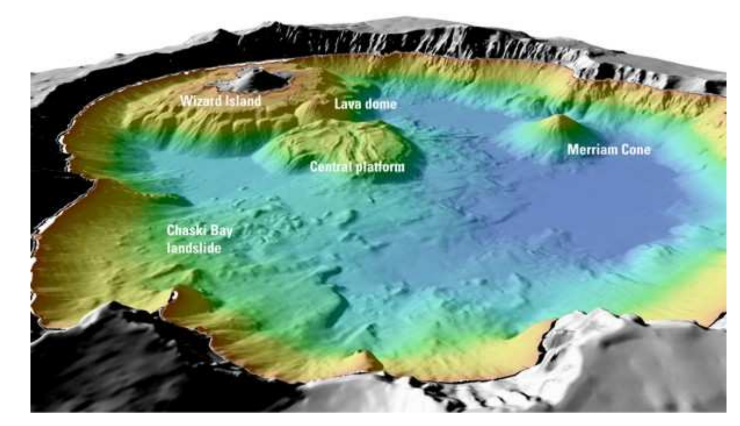
بحيرة فوهة بركان مازاما:

بكل بد فإن العين الحمئة التي ذكرها القرآن الكريم، لن تبقى على حالها تسيل منها الحمم كما كانت قديما، إلى يومنا هذا، فالبراكين بعد ثورتها تهدأ وتستكين سنين طويلة، ويتحول ما حولها إلى أراض خصبة. لكن لابد أنها ستحتفظ بخصائص مميزة لن تتغير أبدا، فلسنا بصدد التحدث عن فوهة بركان تقليدي صغيرة الحجم، بل حتما سنبحث عن فوهة بركان ضخم جدا، حتى تليق بأن تذكر في كتاب الله العظيم، وكذلك يشترط أن ينسج حوله الأساطير، بصفته معبودا من دون الله تبارك وتعالى للقوم عنده، وأن يقع هذا البركان عن آخر يابسة قبل مغرب الشمس، وهذه الشروط تجتمع جميعها فيما يعرف بحيرة الفوهة Crater Lake.





تقع بحيرة فوهة بركان جبـــل مازامـــا Mazama في لاية أوريجون Oregon، في شمال غرب الولايات المتحدة الأمريكية. ويبلغ طولها ٩,٧ كم، وعرضها ٨,٠ كم، ومتوسط عمقها ١,١٤٨ قـــدم (٣٥٠ م). مازما هو أكثر انفجار بركاني هائل شـــهرة الذي وقع في حوالي ســـنة ٥,٦٧٧ قبـــل الميلاد. ويقع بالكامل في منتزه بحيرة الفوهة الوطني Crater Lake National Park. وهناك مخاطر تهدد الولايات المتحدة بعودة انفجار هذا البركان مرة أخرى.



صورة من الأقمار الصناعية توضح التضاريس داخل قاع البحيرة.







منظر غروب الشمس في العين الحمئة

سكان أمريكا الأصليين:

فيما يبدو أن "ذو القرنين" وجد القوم عند مغرب الشمس على وثنية وشرك، فدعاهم إلى دين الله تعالى، فمنهم من كفر ومنهم من آمن بالله تعالى، وكما تبين لنا أن هؤلاء القوم مقيمين في قارة أمريكا، وهم سكانها الأصليين المعروفين بالهنود الحمر (سمى الهنود الحمر بهذا السبب لأن كريستوفر كولمبس ظن خطأ انه في الهند عندما اكتشفها).

فقد أمر الله تعالى "ذي القرنين" إما يعذب هؤلاء القوم، وإما أن يتخذ فيهم حسنا، فقد حكمه الله فيهم، قال تعالى: (**حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا * قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا * وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاء الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا**) [**الكهف**: ٨٦: ٨٨]، فمن الواضح أنه عذب المشركين منهم، بينما قال للمؤمنين منهم ما ييسر به عليهم من أمر حياتهم، خاصة أنهم في قارة معزولة عن عالم الحضارات والنبوات.

رغم ما يعتري الهنود الحمر من وثنية حين اكتشافهم، إلا أن الآثار الموجودة في بلادهم تشهد أنهم أصحاب حضارات، منها الأهرامات الضخمة التي تضاهي أهرامات الجيزة مساحة، فإذا كان سليمان عليه السلام هو باني أهرامات الجيزة كما يثبت هذا البحث، فحتما يزداد اليقين أنه هو نفسه من أنشأ على الأقل بعضا من أهم الأهرامات الأمريكية.

أغلب الظن أن هذه المعالم الحضارية، ما هي بقايا مما علمهم نبي الله ذو القرنين سليمان عليه السلام من علوم ومعارف تنفعهم في هذه القارة النائية وتيسر لهم معيشتهم قال تعالى: (**وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاء الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا**) [الكهف: ٨٨]. ثم مضى عليهم الزمن فانقلبوا من موحدين إلى وثنيين كعهد كثير من الأمم، فاندثرت جميع معالم الدين الإسلامي تماما، و لم يبقى لديهم إلا الوثنية وعادوا كما كانوا، حتى قام الأوربيون بقتلهم وإبادتهم، والاستيلاء على أراضيهم وممتلكاتهم، إلا أنه لا يزال هناك قلة نادرة منهم في مناطق نائية وسط غابات بيرو.

تداولت وكالات الأنباء عبر شبكة المعلومات صورا مفادها وجود بقايا من الهنود الحمر في مناطق نائية ومنعزلة من غابات بيرو (ويظهر في الصور التي التقطت من الجو أفراد القبيلة يحملون الأقواس والسهام وقد غطوا أجسامهم بقماش لونه أحمر. يذكر أن أكثر من نصف القبائل المعزولة في العالم موجودة في بيرو والبرازيل كما تقول منظمة Survival International. وقد التقطت الصور خلال عدة رحلات جوية فوق إحدى المناطق النائية لغابات المطر في البرازيل. ويظهر في الصور أبناء القبائل خارج أكواخهم يحملون الأقواس والسهام ويوجهونها نحو الكاميرا. ونسبت المنظمة إلى خوزيه كارلوس ميريلس الموظف في قسم الشؤون الهندية التابع للحكومة البرازيلية قوله: " قمنا بالرحلات الجوية حتى نصور بيوتهم، ونبين أنهم هناك وأنهم موجودون ، وهذا مهم لأن هناك من يشكون بوجودهم").



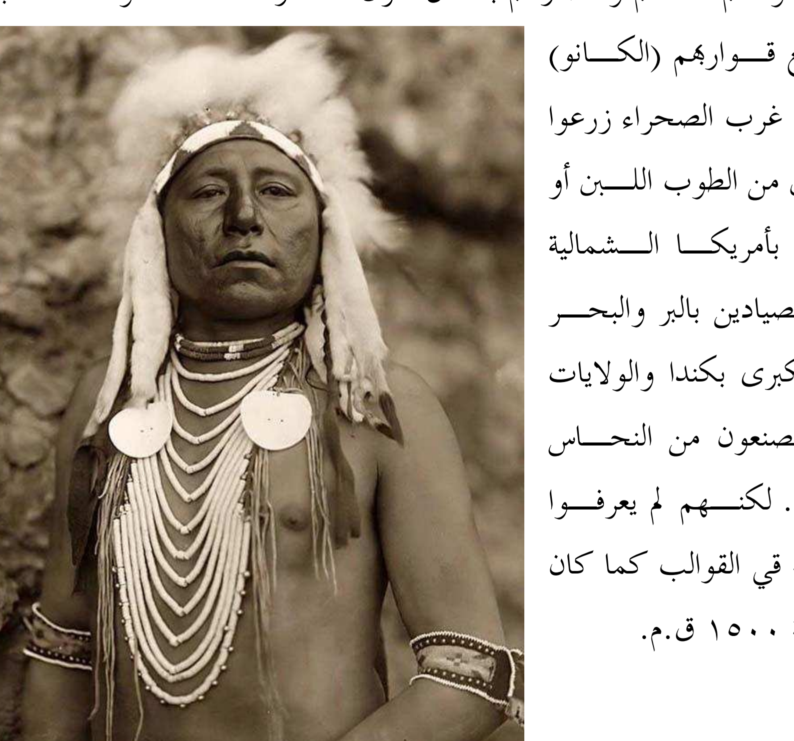
تم اكتشاف بقايا منعزلة من قبائل الهنود الحمر يعيشون حياة بدائية في بيرو.



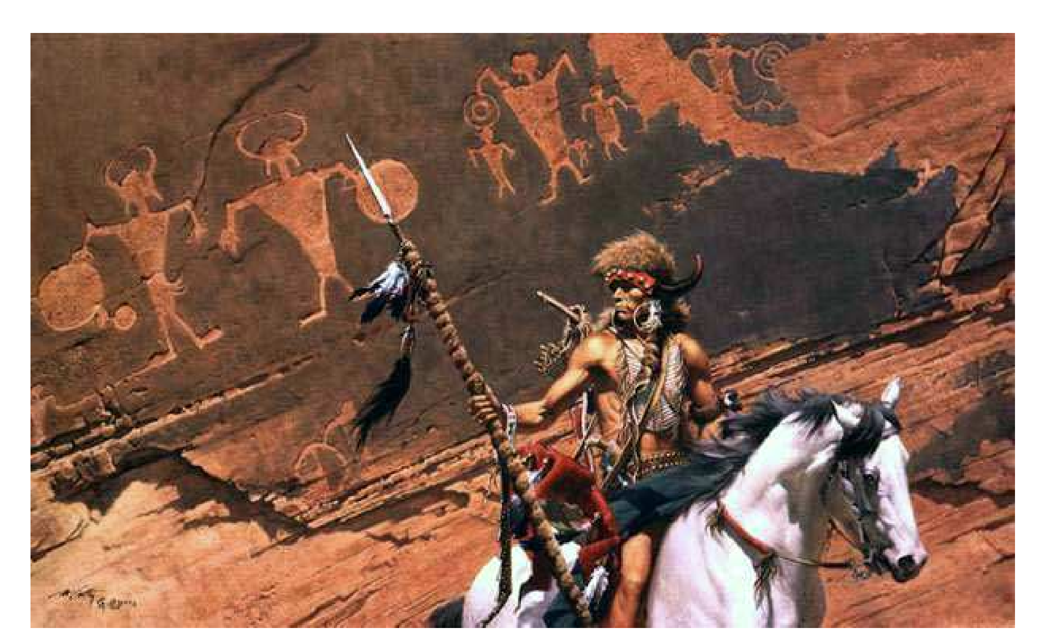
وحسب الموسوعة المجانية: (الهنود الحمر أول شعوب تكتشف الأرقام والرمز إليها، وكانوا متقدمين جدا قبل ميلاد السيد المسيح بحوالي ٣٧٠٠ سنة ولكن بسبب كسلهم الشديد وانتشار الأمراض (بسبب التدخين) وانتشار الخرافات ظلوا كما هم حتى تخلفوا تماما عن العالم فجاءت أوروبا واستولت على أراضيهم بالكامل، اغلب سكان الهنود الحمر الأصليين يعيشون حاليا في بيرو وحسب بعض الإحصائيات تقول أنهم مهددين بالانقراض.

الهنود الأمريكان أو الحمر: وهم سكان أميركا الأصليين وهم الذين نزحوا عبر ممر أرضي كان بمضيق بيرنج بشمال شرق سيبيريا إلى القارة منذ ١٠ آلاف سنة قبل انحسار العصر الجليدي الأخير. واستوطنوها منذ آلاف السنين قبل أن يستعمرهم الأوربيون بعد اكتشاف العالم الجديد في القرن ١٥ الميلادي. وكان هذا الممر وقتها يربط شمال غرب أمريكا الشمالية بشمال شرق آسيا.واستطاع السكان الأوائل تسخير المصادر الطبيعية وتأقلموا مع المناخ والأرض التي كانوا يعيشون بها.

وخلال آلاف السنين أقاموا لهم ثقافاتهم وحضارتهم بشمال شرق القارة. فاستعملوا أخشاب الغابات في بناء بيوتهم وصنع قواربهم (الكانو) وآلاتهم الخشبية. وفي جنوب غرب الصحراء زرعوا الذرة وبنوا بيوتهم من طابقين من الطوب اللبن أو المجفف في الشمس. ظهرت بأمريكا الشمالية حضارة النحاس وحضارة الصيادين بالبر والبحر ولاسيما حول البحيرات الكبرى بكندا والولايات المتحدة الأمريكية. وكانوا بصنعون من النحاس آلاتهم بطرقه ساخنًا أو باردًا. لكنهم لم يعرفوا طريقة صهره ولا كيفية صبه قي القوالب كما كان متبعا في العالم القديم منذ سنة ١٥٠٠ ق.م.



وفي المنطقة القطبية الشمالية مارسوا صيد الأسماك والحيوانات. لما إستعمرهم الأوربيون في القرن ١٥ الميلادي، واجهوا تحديات كبيرة. لكن بعضهم تعايش وتيادل التجارة معهم واستوعبوا تقنياتهم. لكن الأوربيين استولوا علي أراضيهم وكانوا يبيدوهم في كندا وأمريكا. وكانت هذه القبائل يطلق عليها قبائل أونداجو وموهاك وشيروكي. وكلهم كان يطلق عليهم الهنود الأمريكان، أو الهنود الحمر. وفي كندا كان يطلق عليهم عادة شعب أبورجينال (Aboriginal people).



ولما وصل كريستوفر كولومبس عام ١٤٩٢م أرضهم، كان عددهم يقدّر ما بين ٤٠ إلى ٩٠ مليونًا. ولما جاء الأسبان وجدوا ٥٠ قبيلة هندية في الغرب بما فيها شعب بيبلو (Pueblo) وكومانش (Comanche) وبيمان (Piman) ويمان (Yuman)، وكان لهم لغاتهم المتنوعة. وجلب الأوربيون معهم الأمراض عن طريق الحرب البيلوجية كالجدري والحصبة والطاعون والكوليرا والتيفويد والدفتريا والسعال الديكي والملاريا وبقية الأوبئة التي كانت تحصد السكان الأصليين).



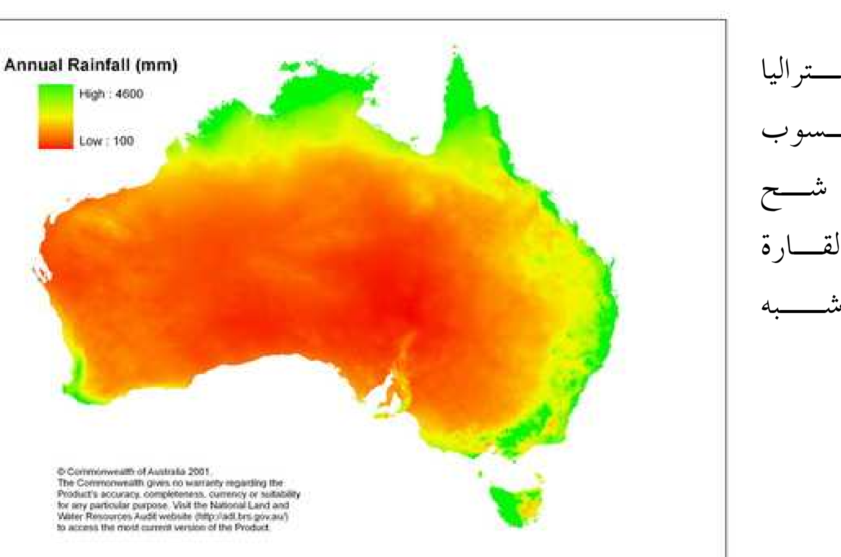
مطلع الشمس:

بعد أن بلغ "ذو القرنين" إلى مغرب آخر أرض تغيب عليها الشمس، واصل مسيرته في نفس الاتجاه حتى بلغ أول أرض من قبل المشرق تطلع عليها الشمس، وفي هذا سبق قرآني في إثبات كروية الأرض، لأننا إن انطلقنا من نقطة البداية صوب مغرب الشمس، وسرنا في نفس الاتجاه فحتما سننتهي عند نفس نقطة البداية مارين بمطلع الشمس.

وحين بلغ مطلع الشمس وجد قوما يعيشون في أرض مستوية لا جبال فيها يستظل بها من وهج الشمس، قوله تعالى: (**حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا**) [الكهف: ٩٠]، وقوله (**مَطْلِعَ الشَّمْسِ**) أي حيث أقصى أرض مأهولة بالبشر من قبل المشرق تبدأ الشمس تطلع عليها، وتتسم تلك الأرض بأن طبيعتها صحراوية قاحلة، تقل فيها الجبال، لا ينبت فيها شجر يستظل به، لقوله تعالى (**لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا**).

وحسب الخرائط الفضائية، فإن قارة أستراليا هي أول أرض مأهولة بالسكان قبل المشرق، وبخلاف هذا؛ فإلى حد بعيد فإن الجزء الأكبر من أستراليا صحراء أو أراضي نصف قاحلة معروفة باسم المناطق النائية. فتعد أستراليا القارة الأكثر تسطحا، ذات تربة غاية في الشيخوخة والأقل خصوبة، وهي القارة الصحراوية المأهولة. فقط الزوايا الجنوبية الشرقية والجنوبية الغربية للقارة تتمتع بمناخ معتدل. أغلب حياة السكان على طول الشريط الساحلي الجنوبي الشرقي المعتدل. وأما الماء فيحصلون عليه من الأنهار الموسمية.

٧٠ ٪ من البلاد تصنف على أنها قاحلة أو شبه قاحلة، وهو ما يعني أنها تحصل على أقل من ٥٠٠ مليمتر من الأمطار سنويا. وهذا يجعل من أستراليا القارة المأهولة الأكثر جفافا على الأرض. فقط أنتاركتيكا Antarctica هي الأكثر جفافا. ٣ ٪ فقط من سكان استراليا الذين يعيشون في الأراضي الجافة التي تمثل ٧٠ ٪ من القارة. وبقية السكان يتمركزون على السواحل.



خريطة لقارة أستراليا تبين توزيع منسوب الأمطار، وتثبت شح الأمطار في هذه القارة الصحراوية وشبه الصحراوية.

وعلى هذا فأستراليا هي القارة الحيدة في العالم، لم يجعل الله فيها جبالا شاهقة يتخذ من كهوفها مأوى، ولا أشجارا وارفة يستظل بها من أشعة الشمس، ورغم أنها قاحلة مجدبة فإنها مأهولة بالسكان، وهذا يوافق قوله تعالى (**لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا**).

قال ابن كثير في تاريخه (أي ليس لهم بيوت ولا أكنان يستترون بها من حر الشمس. قال كثير من العلماء: ولكن يأوون إذا اشتد عليهم الحر إلى أسراب قد اتخذوها في الأرض شبه القبور). وبالفعل فإن السكان الأصليين الأبوريجين في أستراليا، يحفرون الأرض قرب الأشجار حتى يصلون إلى الرمال الباردة في أيام الحر، فيدفنون أنفسهم فيها، أو يلطخون أجسادهم بالرمال الباردة لترطيب أجسادهم من حر الشمس.



أغلب أرض أستراليا صحراوية ممتدة بلا جبال.



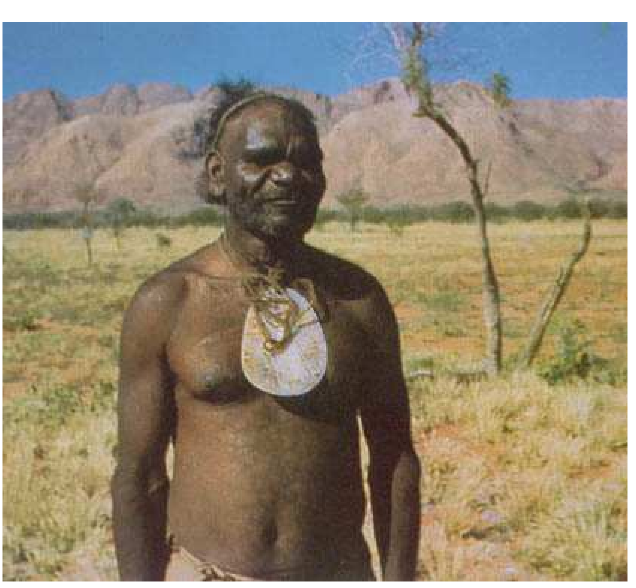
هضبة مقدسة من الصخر الرملي في وسط أستراليا، تدعى Uluru أو Ayers Rock لدى ملاك أراضي أنانجو Anangu المسكونة بعشرات الأرواح من كائنات أسطورية.

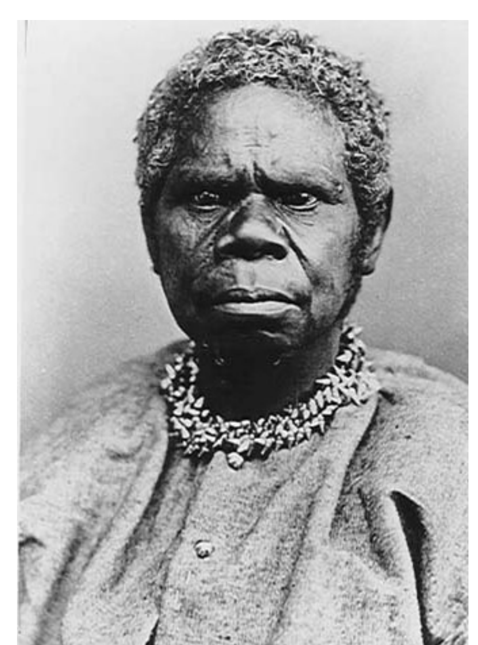
سكان أستراليا الأصليين:

كان السكان الأوائل من شعوب السكان الأصليين الأبوريجين Aboriginals الذين هــاجروا إلى القارة منذ ٦٠ ألف سنة من جنوبي شرق آسيا، عندما كانت المياه حولها ضحلة وتسمح لأفراده بالترحال إليها بحرا. ثم ارتفعت المياه المحيطة بحيث عزلت هؤلاء الوافدين إليها من الاتصال بموطنــهم الأصلي وأصبحوا معزولين داخل قارتهم الجديدة. وكانت هذه القارة مجهولة للعالم الخــارجي حــتي القرن ١٧. وكان هؤلاء المهاجرون جامعي الثمار وصائدي الحيوانات والأسماك و لم يربوا الحيوانــات الأليفة. وكانوا يفلحون أرضهم بإشعال النيران فيها لتطهيرها، و ليمكنوا الحشائش النضرة من النمو ولجذب حيوان الكنغرو وغيره ليصطادوها.



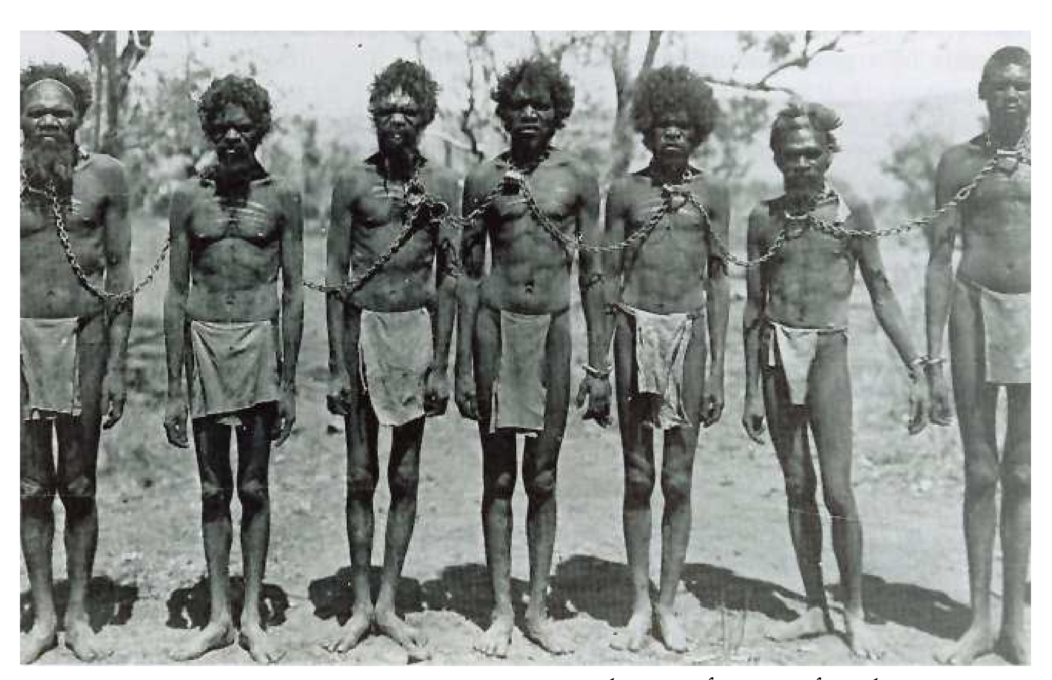
وكانوا يقيمون سدود المياه، ويغيرون مجــاري المــاء، ويتحكمون في مخارج برك المستنقعات والبحيرات لتربيــة الأسماك في مزارع سمكية. ورغم أنه شعب بدوي إلا أنــه خلال الـــ ٣٠٠٠ سنة الماضية كان يتسارع في التغــيير مرتبطا بأرضــه مــستخدما آلاتــه الحجريــة. وكـــان الأستراليون القدماء يمارسون التجارة مع الأطراف البعيدة بالقارة. وتوائموا مع العوامل البيئية وكانت لهم سمــاتهم الثقافية والحضارية. عندما وجـــدها الرجـــل الأوربي في أواخر القرن ١٧ كان يوجد بالقارة أكثر من ٢٥٠ لغــة متداولة. وانقرضت معظمها في مطلع القرن ١٩. وكانت المجموعات البشرية هناك ثنائية اللغة أو متعددة اللغات.



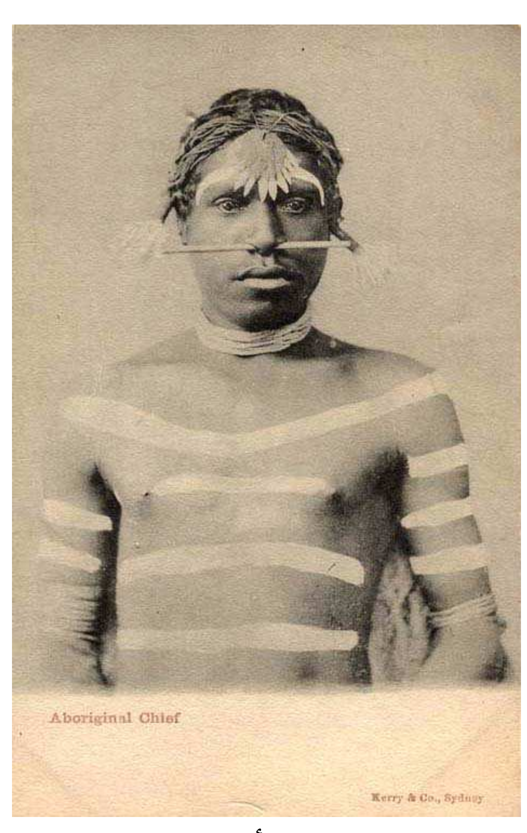


وجوه من قبائل أستراليا الأصليين

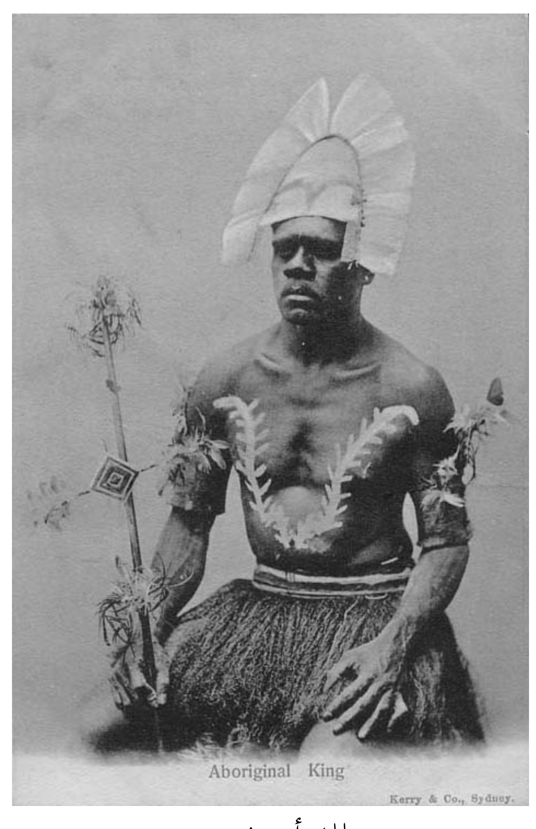
وهم قبائل فطرهم فاسدة، مجردون من الحياء يعيشون في فوضى من العري، لا يسترون سوءاتهم رجالا أو نساءا، بالكاد حصلت على صور لرجال يسترون فيها سوءاتهم. ويطلون أجسادهم الأصباغ، وفق طقوسهم الوثنية، وهم مشهورون بممارسة السحر، وتمت إبادتهم إبادة جماعية على يد الروم عباد الصليب فلم يتبقى منهم إلا قلة بعضهم تم تنصيرهم، والبعض ظل على وثنيته.



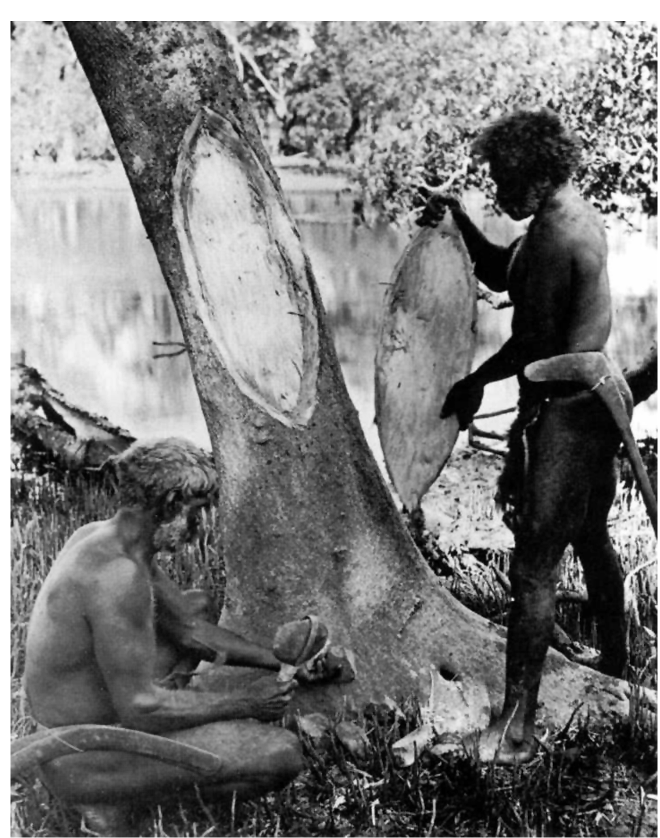
عددا من سكان أستراليا الأصليين مكبلين بالحديد والسلاسل من قبل المستعمرين البيض



زعيم أبوريجيني



ملك أبوريجيني

يصنعون دروعا بدائية من لحاء الأشجار.

حقيقة هناك أراض شاسعة في شمال الكرة الأرضية وجنوبها، لكنها لا تدخل في نص الآيات المذكورة في رحلة "ذو القرنين"، لأن القطبين الشماليين هما في الحقيقة أراض جليدية غير مأهولة، وليست بصحارى رملية مشمسة. حتى البلاد القريبة من القطبين، هي صحراء جليدية لا ترى الشمس، وربما أنها صارت مأهولة حديثا، أو انفصلت عن القارات القريبة منها مع مرور الزمن، بسبب الحركة التكتونية لألواح القشرة القارية. إنما الآيات التي فصلت رحلت "ذو القرنين" ذكرت أنه بلغ أقصى منطقة بركانية مأهولة بالناس قبل المغرب، وأقصى أرض صحراوية مأهولة قبل المشرق. وبناءا عليه فأقصى منطقة براكين في غرب الكرة الأرضية تقع شمال غرب القارة الأمريكية، وأول قارة صحراوية مقحلة، لا ساتر لها من الشمس، تقع عند مشرق الكرة الرضية هي قارة أستراليا.



تتفرد صحراء استراليا بأرض مبسوطة بلا تلال رملية ويندر وجود هضاب صخرية وتنعدم الجبال الشاهقة، وبالتالي ينعدم وجود الظل تقريا، فلا ساتر من أشعة الشمس.



يوقدون النــــار بطرق بدائيــــة، بطريقة لـــف أعـــواد مـــن الحطب.



يتخذون معاول بدائية من الحجارة



رجل يصطاد الكنغرو ليطعم صغاره.

* * * * * *

"أوفير" التوراتية وجزر سليمان:

يوجد أرخبيل شمال شرق قارة أستراليا، تسمى "جزر سليمان Solomon Islands" تقع في جنوب المحيط الهادي. تتألف من أكثر من ٩٩٠ جزيرة، مجموع مساحتها ٢٨٤٥٠ كم[٢]. عاصمتها هونيارا. وعدد سكانها ٥٠٠ ألف نسمة. اللغة الرسمية فيها هي اللغة الإنجليزية، جزر سليمان سكنت من قبل الميلانيسيين لأكثر من ٣٠٠٠٠ سنة. بدأ المستوطنون البولينيزيون بالوصول في العام ٤٠٠٠ قبل الميلاد. وساد الاعتقاد بأنها هي "أوفير Ophir" جزر سليمان التوراتية الغنية بالذهب. ذكر اسم "أوفير" في التوراة المحرفة، فقد استقدم سليمان عليه السلام الذهب لبناء بيت المقدس في أورشليم. وحسب الوصف التوراتي، فبسبب توجه السفن جنوبا عبر البحر الأحمر من ميناء عتيق ذكرته باسم "عصيون جابر" بجوار "آيلة" إلى "أوفير" لذلك كان يعتقد أنها تقع في جنوب الجزيرة العربية.

(وعمل الملك سليمان سفنا في عصيون جابر التي بجانب آيلة على شاطئ بحر سوف في أرض أدوم * فأرسل حيرام في السفن عبيده النواتي العارفين بالبحر مع عبيد سليمان * فأتوا الى أوفير واخذوا من هناك ذهبا أربع مئة وزنة وعشرين وزنة وأتوا بها إلى الملك سليمان) [الملوك: ١: ٩/٢٦: ٢٨].

(حينئذ ذهب سليمان إلى عصيون جابر وإلى آيلة على شاطئ البحر في ارض أدوم * وأرسل له حورام بيد عبيده سفنا و عبيدا يعرفون البحر فاتوا مع عبيد سليمان إلى أوفير وأخذوا من هناك أربع مئة وخمسين وزنة ذهب وأتوا بها إلى الملك سليمان) [أخبار الأيام الثاني: ٨/ ١٧، ١٨].

(لأنه كان للملك في البحر سفن ترشيش مع سفن حيرام فكانت سفن ترشيش تأتي مرة في كل ثلاث سنوات أتت سفن ترشيش حاملة ذهبا وفضة وعاجا وقرودا وطواويس) [الملوك الأول: ١٠/ ٢٢].

وهام الباحثون على وجوههم بحثا عن "أوفير" التوراتية أملا في اكتشاف الأرض التي كان يجلب منها الذهب الوفير إلى سليمان عليه السلام. فانطلاق السفن من عصيون جابر وآيلة صوب المحيط الهندي جعل الكثيرون يعتقدون أن "أوفير" تقع في الهند شرقا، ومنهم "كريستوفر كولومبس" وغيره الكثيرون، الذي دفعه طموحه في القيام برحلته التاريخية أملا في الوصول غربا إلى "أوفير" الهندية. والواقع أن رحلة بحرية ذهابا وإيابا إلى الهند كان أمر غير ممكن خلال ثلاث سنوات، ولا يتفق مع إمكانيات السفن التي كانت شائع استخدامها قبل الميلاد، خاصة وأن التنقيب عن الذهب بكميات وفيرة يستلزم زمنا، فضلا عن مقايضته. هذا بخلاف أن الطريق البري بين القدس والهند أقرب منه عن طريق البحر، والأكثر صعوبة هو الوصول إل جزر سليمان.

بما أن الله تعالى سخر لسليمان عليه السلام شياطين الجن، فاستخراج الذهب ونقله إليه لن يستغرق لحظات معدودة، فضلا عن أن الشياطين كانوا يغوصون له في البحار، قال تعالى: (**وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ**) [الأنبياء: ٨٢]، وقيعان البحار والمحيطات مصدر غني بالذهب. بدليل أن غنى مياه البحر بأغلب المعادن المختلفة، ومنها المعادن النفيسة كالذهب، وإن كانت تحتوي على عناصر ضئيلة في الحجم إلا أن هذا دليل قوي على ثراء قيعان البحار المترسب فيها ثروات هائلة من الذهب، خاصة وأن الحمم البركانية الغنية بالمعادن ممتدة على مساحات شاسعة في قاع البحر، فلم تصل إليها يد بشرية حتى الآن، بسبب أن تكلفة استخراجها ستكون الباهظة. لكن الحصول عليها بواسطة الجن أمر لن يكبد سليمان عليه السلام أكثر من أمر يصدره إليهم.

واستمرت المحاولات في البحث عن "أوفير" التوراتية، حتى اكتشف هذه الجزر الأسباني "الفارو دو ميندانا دو نيرا Álvaro de Mendaña de Neira" ١٥٦٨، منطلقا من "بيرو" غرب القارة الأمريكية الجنوبية، حيث وجد ذهبا في الثغر الذي يطلق عليه الآن "الماتانيكو ريفير Mataniko River"، فاعتقد أن هذا هو أحد المواقع التي حصل منها سليمان عليه السلام على الذهب لبناء بيت المقدس في أورشليم. ومن ثم سمى ميندانا الجزر باسم جزر سليمان. رحل عنها ثم عاد في سنة ١٥٩٥بنية الاستقرار ومات جراء إصابته بالملاريا.

أيضا كان يعتقد الرحالة الإيطالي "ماركو بولو Marco Polo" أن جزر سليمان كانت معروفة إلى حضارة الإنكا Inca، وهي إمبراطورية قامت على الحدود الغربية لقارة أمريكا الجنوبية، واشتهرت بالبذخ في استخدام المشغولات الذهبية. من البديهي أن الأسبان بحثوا عن الذهب أثناء اكتشافهم الجزر حسب هذه المهمة الأولى لكن دون جدوى إلى حد ما. ومن الجدير بالملاحظة أن جزر سليمان بقيت مجهولة وأسطورية بعض الشيء مائتي سنة أخرى قبل عودة المستوطنين والتجار.

والمعلومات التاريخية شحيحة جدا عن جزر سليمان لا يمكن الاعتماد عليها، حيث تعج هذه الجزر بالأساطير والسحر، فالسكان الأصليين كانوا يؤمنون بعبادة أرواح الأسلاف، فهمنهم من يمارسون الطب السحري، فيدعون أن لديهم القدرة على سحب الأجسام الملعونة من جسم الضحية بمصهم خارجا، أو بإرسال روح أخرى لاستعادتهم، ولا يزال آخرون يمارسون السحر الأسود. والغالبية العظمى يعبدون الصليب بعد تنصيرهم، والمسلمين قلة حوالي ٣٥٠ مسلم تقريبا.

طبقا لكتاب كولين جاك هيلتون Colin Jack Hilton: "البحث عن جزر سليمان ١٥٦٧ _ ١٨٣٨" (Clarendon press 1969)، أصبح عنوان جزر سليمان شعبيا بعد الحملة الإسبانية الاستعمارية الأولى التي (كشفت) عددا من الجزر في عام ١٥٦٨. وحسب تحديد، قائد السفن الفور دو ميندان Alvaro De Mendana اعتقد أن هذه المنطقة من جنوب المحيط الهادي "قارة استراليا الواسعة تشتمل على، أوفير Ophir الملك سليمان"

على كل الأحوال عدم العثور على ذهب قديما، لا ينفي اكتشافه حديثا بكميات وفيرة، أو أن سليمان عليه السلام لم يصل إلى هذه المنطقة، إنما تسمية الجزيرة باسم "جزر سليمان" يثبت أن أهل الكتاب يبحثون جديا وراء " أوفير" التوراتية، ليس أملا في إثبات صحة كتبهم المحرفة، إنما همهم البحث عن الذهب. لكن ما نلاحظه في هذا أن لديهم أدلة على وصول سليمان عليه السلام إلى هذه المنطقة، وإلا فبكل تأكيد لن يشدوا الرحال من أسبانيا يطوفون أرجاء العالم أملا في الوصول إلى أستراليا والجزر المحيطة بها انطلاقا من تخمينات جزافية حول "أوفير" أسطورية لا وجود لها، ولن يطلقوا عليها اسم سليمان لمجرد العثور على حفنة من الذهب هناك، وإلا فإن "بيرو" ذات حضارة "الإنكا"، والتي انطلقوا منها، كان أوفر ذهبا، وأولى بإطلاق اسم سليمان عليها. وإن تكتمهم لأدلة تثبت صحة وصول "ذو القرنين" سليمان عليه السلام إلى هذه المنطقة من العالم، يعد احتمال قائم تجنبا لفضح التزوير في كتبهم المحرفة.

إن الاهتمام بالبحث الأثري في قارة أستراليا وما يحيط بها من جزر لم يعد قاصرا على أهل الكتاب وحدهم، فوفق ما توصل إليه هذا البحث فإننا كمسلمين؛ لنا حقوقا، وعلينا واجبات، تجاه الكشوف الأثرية في هذه المنطقة من العالم، لأن العثور على أدلة أثرية سوف يخدم تفسير القرآن العظيم، وبالتالي تقيم الحجة على أهل الكتاب.

إن ذكر "أوفير" التوراتية التي كان بحث أهل الكتاب عنها، هو السبب الرئيسي في اكتشاف كلا من قارتي أمريكا وأستراليا، يثبت صحة أن "ذي القرنين" وهو مجرد كنية أو لقب لنبي الله سليمان عليه السلام، وصل بنفسه إلى هذه الأراضي التي كانت مجهولة حتى قرون قريبة وليس شخص مختلف عنه، وبهذا يثبت سبق النص القرآني في الكشف عن وجود قارات مجهولة وإثبات كروية الأرض. إضافة إلى التأكيد على أن أهل الكتاب على علم بشكل أو آخر بعلاقة هذه المناطق بنبي الله سليمان عليه السلام، وهذا يستحق بحثا مستفيضا لفضح ما يكتمونه من كشوف وحقائق علمية.



بين السدين:

واصل ذو القرنين رحلته من مطلع الشمس حتى (**بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ**)، فوجهته كانت محددة مسبقا، ولقد كان ذو القرنين على علم بوجود السدين، قبل انطلاقه إليهما، وعلى علم كذلك بما كان بينهما من مدخل "يأجوج ومأجوج"، فقوله (**حَتَّى إِذَا بَلَغَ**)، يفيد أن هدفه كان بلوغ (**بَيْنَ السَّدَّيْنِ**)، فقوله (**حَتَّى**) حرف جر لانتهاء وغاية، و(**إِذَا**) ظرفا للمستقبل متضمنة معنى الشرط، لأنه جاء بعدها فعل ماضي (**بَلَغَ**)، ولو جاء اسم بعد (**إِذَا**) لكانت وظيفتها المفاجأة، كأن يقول (حتى إذا السدين)، هذا مما يدل على أن ذي القرنين كان على علم مسبق بوجود السدين، وكأن ذهابه إلى ما بين السدين كان أشبه برحلة تفقدية لما بينهما. بل كان على علم مسبق بجميع المناطق التي بلغها، لتكرار نفس الصيغة، لقوله تعالى: (**حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ**)، و(**حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ**)، و(**حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ**).

كذلك تكرر دخول (**حَتَّى إِذَا**) ثلاث مرات في قصة موسى مع الخضر عليهما السلام، قال تعالى: (**فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا**) [الكهف: ٧١]، قال تعالى: (**فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ**) [الكهف: ٧٤]، قال تعالى: (**فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ**) [الكهف: ٧٧]. وفي نهاية المطاف أقر الخضر عليه السلام أن كل ما فعله ما كان عن أمره (**وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي**) [الكهف: ٨٢]، مما يشير أنه كان نبيا أوحي إليه مسبقا أمرا بخرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار. وهذا التوافق في الصياغة اللغوية، مما يشير إلى أن "ذي القرنين" أوحى الله إليه مسبقا خبر الأقوام الذين انطلق إليهم، فلم يكن لقاءه بهم غير مقصود منه، مما يثبت أنه كان نبيا كما كان الخضر وسليمان عليهما السلام أنبياء.

لذلك قال له القوم (**إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ**) على سبيل الشكوى منهم والتضرر من إفسادهم، لا على سبيل إخباره بما يجهل من أمرهما. وهذا يلزم منه أن "ذي القرنين" كان على علم مسبق بإفساد "يأجوج ومأجوج" في الأرض، وأنه انطلق صوبهم لردعهم، ووضع حد حاسم لإفسادهم في الأرض، فقام ببناء السد الثالث.

الثلاثة سدود:

ذكر في آيات سورة الكهف ثلاثة سدود تحديدا، سدين حيث بلغ "ذو القرنين"، وسد ثالث قام ببنائه حيث بلغ بين السدين. فيؤكد التوافق اللفظي إلى أن السدين المذكورين أولا هما من نفس جنس السد الثالث الذي بناه "ذو القرنين"، أي أن هذه السدود الثلاث من بناء مخلوق وليس أي منهم جبل مخلوق، حيث ذهب البعض إلى أن السدين هما جبلين، وهذا بناءا على إحدى القراءتين، إحداهما بضم السين والأخرى بالفتح، فغضوا الطرف عن معنى القراءة الأخرى، وتركوا الجمع بين كلا المعنيين، فلا أرى علة لحمل معنى السدين على أنهما جبلين، والسد الثالث على أنه حاجز، بل الثلاثة سدود هم حاجز من جنس واحد.

في لسان العرب: (السَّدُّ، السُّدُّ: الجبل والحاجز. وقرئ قوله تعالى: (**حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ**)، بالفتح والضم. وروي عن أبي عبيدة أنه قال: بين السُّدين، مضموم، إذا جعلوه مخلوقا من فعل الله، وإن كان من فعل الآدميين، فهو سَد، بالفتح، ونحو ذلك قال الأخفش).

وبالجمع بين القراءتين، بالضم والفتح، فالثلاثة سدود من جنس واحد، ولا يصح الفصل بين معانيهم المختلفة، فمن الخطأ التمييز بين السدين والسد الثالث، فإن قيل أنهما جبلين من خلق الله تعالى، فهذا يتعارض مع الثابت من أن السد الثالث حاجز من بناء البشر، فليس هناك نص يجزم بأن السدين هما جبلين من خلق الله تعالى حتى نجزم بذلك. وإن أخذنا بالقراءة بفتح السين فالثلاثة سدود هي حواجز من بناء البشر، وهذا لا يكفي وحده لضبط المعنى بالكامل، ولكن بإضافة المعنى بالضم يكتمل وصف السدود بأنهم كالجبال.

إنما الصحيح أن كل سد من السدود الثلاثة من تشييد البشر، فبالتوفيق بين معنيي كلمة سد: (جبل، وحاجز)، وفقا للقراءتين، يتضح أن الثلاثة سدود هي حواجز من صنع البشر أشبه بالجبال التي من خلق الله تعالى. إذا فالسدين الذين بلغهما "ذو القرنين" كانا بناءين من صنع البشر في ضخامة الجبل حجما، ثم قام ببناء سد ثالث بينهما، ولعلمه المسبق بوجود السدين فالراجح أنه هو من قام بتشييدهما.

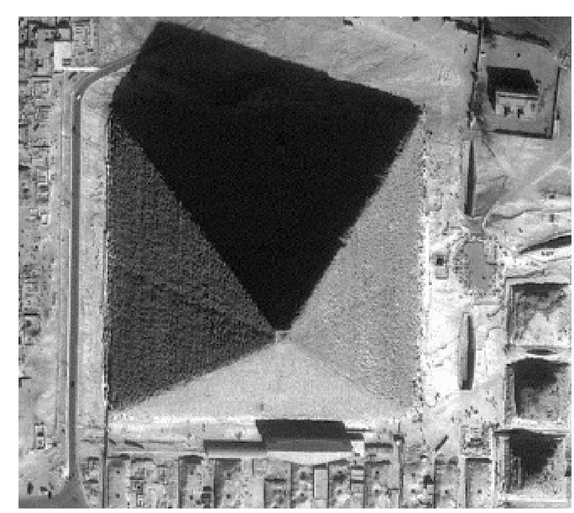
السد الثالث:

وعلى هذا فالسد الثالث مشابها للسدين السابقين عليه، في الشكل وضخامة الجبل حجما، وموافقا لهما في الوظيفة، وهي الحجز بين مسكن "يأجوج ومأجوج" وأهل الأرض. وحسب الأصول الهندسية المتبعة في التصميم المعماري، فإن اختزال الجبل هندسيا يتلخص في أن له قاعدة ذات أربعة أضلاع متقابلة، يتناقص مقطعه تدريجيا لينتهي بقمة مدببة في أعلاه، وهذه المواصفات الهندسية تنطبق على الشكل الهرمي. فإذا بحثنا في أرجاء العالم كله، لن نجد إلا أهرامات الجيزة الثلاثة في مصر.الوحيدة التي تحمل صفات السدود الثلاثة التي بناها "ذو القرنين" سليمان بن داود عليهما السلام.



صورة تخيلية تبين عندما بلغ ذو القرنين بين السدين لم يكن هناك السد الثالث بين الهرمين

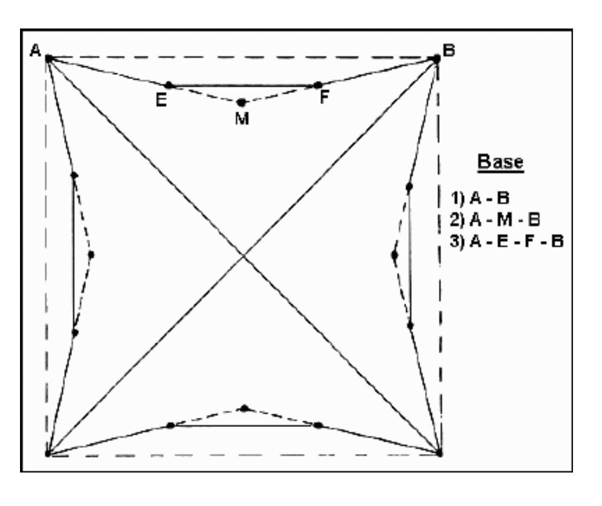
من المفترض أن يكون تصميم السد الثالث متفوقا على تصميم السدين الأولين، بحيث يتفادى العيوب والثغرات الهندسية التي سبق وظهرت، فالتطور المعماري موضع اعتبار في الحرف والفنون. فالهرم الأوسط منهم سنجده يتفرد بتفاصيل معمارية تجعله مختلف عن الهرمين الآخرين، فجوانبه الأربعة مستوية تماما، بينما الهرمين الآخرين، سنجد أن كل جانب مضغوط من الوسط في خط طولي ممتد من القاعدة حتى القمة، أي أن لكل هرم منهما ثمانية أضلع.

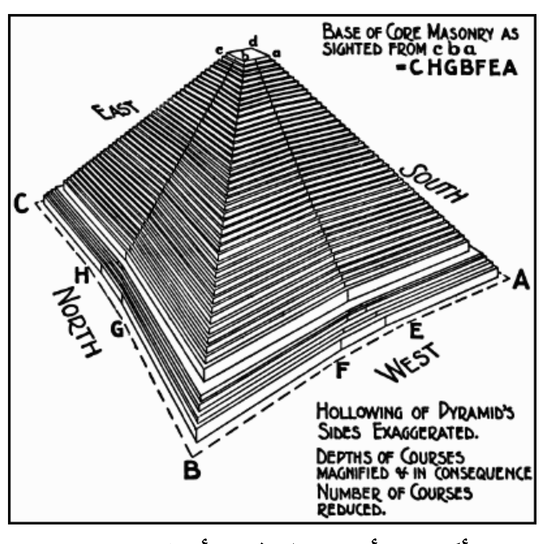


لاحظ الانقسام في جوانب الهرم الأكبر



لاحظ الانقسام في جوانب الهرم الأصغر





رسوم توضيحية تبين انقسام جوانب الهرمين الأكبر والأصغر إلى ثمانية أضلع

وبناءا على أن السد الثالث وظيفته منع خروج "يأجوج ومأجوج". فهذا ينطبق على السدين الآخرين، مما يلزم منه أيضا أن تحت كل منهما بوابة لخروجهم ودخولهم، ولا يمتنع وجود بوابات كثيرة منتشرة في أماكن مختلفة من أنحاء العالم، وأن هناك سدود كثيرة ذات شكل هرمي بحسب عدد تلك الأبواب. وبالفعل يوجد في أنحاء متفرقة من العالم سدود (هرمية الشكل) كثيرة جدا يصعب حصرها، لكن لا نستطيع أن نؤكد أن جميع تلك الأهرامات قام "ذو القرنين" بتشييدها، إنما يكفينا الاهتمام بما ذكره القرآن الكريم فقط.

وعلى سبيل المثال لا الحصر، مصر وحدها بها أكثر من تسعين هرما، موزعين في أمكان متفرقة منها، وهناك أهرامات أقل حجما في النوبة والسودان، وأكبر الأهرامات النوبية في مروي ونوري والكوري بالسودان. ويوجد أهرامات في الصين، والهند، وفرنسا في العصر الروماني بني هرم فاليكون Falicon، كما كان هناك أهرامات بنيت في هذه الفترة. وفي اليونان هرم هيلينيكون باسانياس Hellinikon Pausanias. وهناك أكثر من بكثير.

فهناك الأهرامات الأمريكية مثل هرم الشمس في تيوتهواكان Teotihuacan بالمكسيك له قاعدة أكبر من أي هرم في مصر. بنى عدد من الشعوب القديمة في أمريكا الوسطى والجنوبية الأهرامات كذلك .فقد شيدوا الأهرامات المدرجة ذات النهايات المسطحة. واستخدموا أعلى الهرم المسطح كمصاطب يبنون عليها معابدهم. بنى الموتشيكا في بيرو Peru أهرامات كبيرة من الطوب. يحتوي معبد الشمس بالقرب من تروجيلو Trujillo الحالية على الساحل الشمالي لبيرو على هرم مُدرج من الطوب بني فوق قاعدة مدرجة. والمايا Mayan القدماء في أمريكا الوسطى بنوا مقابر ركامية على هيئة أهرامات شيدوا فوقها المعابد.

كذلك بنى التولتيك Toltec في أواسط المكسيك الأهرامات الكبيرة المدرجة. يوجد أحد هذه الأهرامات في شلولا Cholula ويعتبر أحد أكبر المنشآت في العالم. بنت مجموعة تنتمي إلى التولتيك أهرامات الشمس والقمر الكبيرة التي مازالت واقفة في تيويتواكان Teotihuacan بالقرب من مكسيكو سيتي. لقد دمّر الأسبان معظم أهرامات إمبراطورية الآزتك Aztecs المتأخرة في المكسيك. وبنيت هذه الأهرامات بمدرجات أو مصاطب شأنها شأن الأهرامات الأمريكية الأخرى وضعت في أعلاها المعابد. وكان أكبرها اثنين بنيا في تينوشتيتلان Tenochitlan (مكسيكو سيتي الحالية).

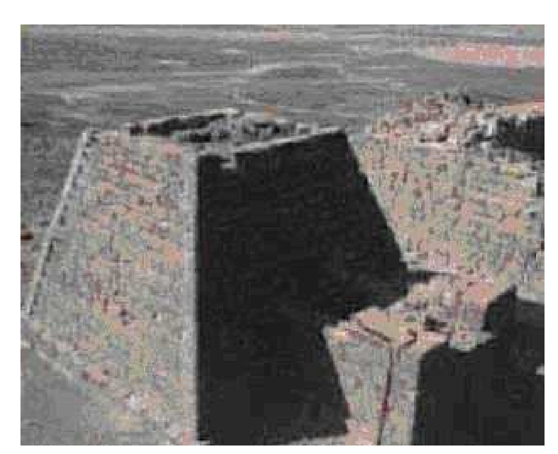
























لا نستطيع الجزم أن كل هذه الأهرامات بناها سليمان عليه السلام لكن على الأقل شيد بعض منها

الحدب:

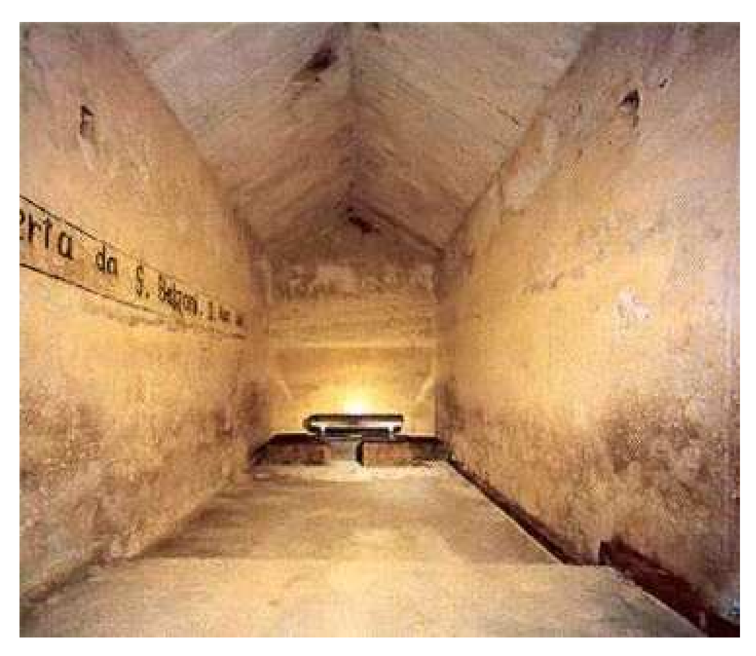
وهناك وصف قرآني محدد يتفق والتكوين المعماري للأهرامات، ويثبت أن هناك أهرامات أو عدة سدود، وليس سد واحد أو اثنين، قال تعالى: (**حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ**) [الحج: ٩٦]، فقوله تعالى: (**مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ**) يفيد أن هناك حدوب كثيرة سينسلون منها، وليس حدب واحد.

في لسان العرب: (حدب: الحدبة التي في الظهر، والحدب: خروج الظهر، ودخول البطن والصدر. رجل أحدب وحدب، الأخيرة عن سيبويه. والحدب: حدور في صبب، كحدب الريح والرمل. وفي التتريل: (**وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ**). وفي حديث يأجوج ومأجوج: (**وهم من كل حدب ينسلون**؛ يريد يظهرون من غليظ الأرض ومرتفعها. وقال الفراء: من كل حدب ينسلون، من كل أكمة، ومن كل موضع مرتفع، والجمع أحداب حداب. والحدب: الغلظ من الأرض في ارتفاع، والجمع الحداب. والحدبة: ما أشرف من الأرض، غلظ وارتفع، ولا تكون الحدبة إلا في قف أو غلظ أرض).

وبكل بد فوعاء اللفظ القرآني يستوعب معاني كثيرة تتوافق فيما بينها لتعطي تجسيدا لما يراد تصويره من معنى، فإن أسقطنا معاني كلمة (**حَدَب**) من قوله تعالى: (**مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ**) على الهرم كبناء، فسنجد أن الهرم يجتمع فيه جميع المعاني لكلمة (**حَدَبٍ**)، فهو غلظ من الأرض في ارتفاع، وهو ما أشرف من الأرض، غلظ وارتفع، وهو شديد تحديب الظهر، مقعر جوفه من الداخل. ففي داخل الهرم غرف لم يحصها الأثريون بعد على وجه التمام، فما يزالون حتى يومنا هذا يحاولون اكتشاف جوف الهرم والتعرف عل عناصره المعمارية من الداخل، وهذه الغرف سقفها مقعر في مقابل خروج ظهر الهرم، ويطلق عليها الأثريون مجازا غرفة دفن الملك أو الملكة، وحقيقة لم يعثروا داخل الأهرامات على أية مومياوات، فيما عدا الهرم الثالث عثروا فيه على بقايا عظمية ربما كانت لمتسلل حاول اكتشاف الهرم من الداخل ومات فيه.

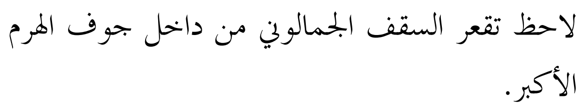


السقف الجمالوني داخل الهرم الأكبر يؤكد أنه (حدب) مقعر من الداخل ومحدب من الخارج



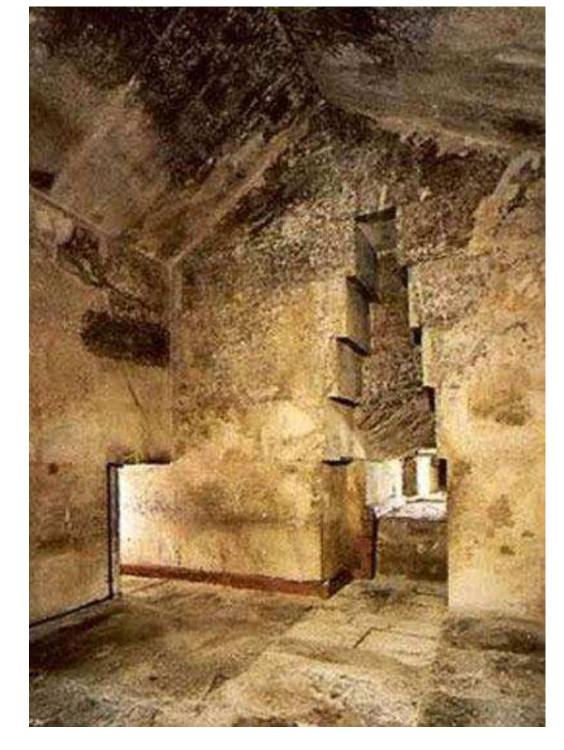
لاحظ تقعر السقف الجمالوني من داخل جوف الهرم الأوسط.

فالهرم ليس مسمطا بل مجوف من داخله، وهذا يؤكد أنـــه أقـــرب (للحدب) من جهة تكوينه.

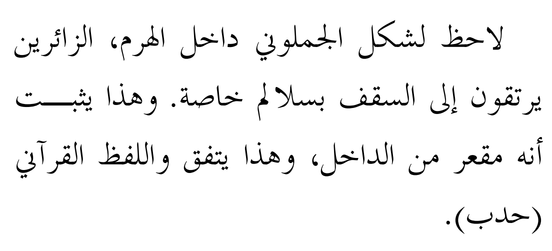


لاحظ تقعر السقف الجمالوني من داخل جوف الهرم الأكبر.

وهذا التقعر مع بروز ظهر الهرم هـــو نفـــس معـــنى (حدب) باللغة العربية.







لاحظ لشكل الجملوني داخل الهرم، الزائرين يرتقون إلى السقف بسلالم خاصة. وهذا يثبـــت أنه مقعر من الداخل، وهذا يتفق واللفظ القرآني (حدب).

* * * * * *

بوابات يأجوج ومأجوج:

فالدلالة اللغوية كما تبين لنا تشير إلى أن هذين السدين أشبه ما يكونا بجبلين شاهقي الارتفاع، يقعان فوق هضبة مرتفعة تطل على سهل يقيم فيه قوم (**لاَّ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً**). حيث وجدهم "ذو القرنين" من دون السدين، قال تعالى: (**حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لاَّ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلا**)، فقوله تعالى (**مِن دُونِهِمَا**) أي قبلهما من أسفل، مما يعني أن السدين مشيدان فوق هضبة.

فحسب ظاهر النص القرآني فإن قوم يأجوج ومأجوج كانوا يخرجون من مكان يقع بين السدين ليفسدوا في الأرض، مما يعني وجود مساحة خالية بين السدين، على ما يبدو أن "يأجوج ومأجوج" حفرا مدخلا لهما فيما بينهما بعد سد المدخلين الذين في الأسفل من كلا السدين الأولين.



سدود يأجوج ومأجوج فوق هضبة مرتفعة وأسفل منها سهل فسيح مأهول

لأن "ذي القرنين" كانت وجهته تحديدا إلى المكان الواقع بين السدين (**حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ**)، وفي طريقه إليهما منطلقا من مطلع الشمس، وجد من دون السدين هؤلاء القوم يشكون إليه إفساد يأجوج ومأجوج في الأرض، فقول القوم (**إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ**) يفهم على سبيل الشكوى والتضرر، لا على سبيل إخباره بما يجهل، فلم يكبدوا أنفسهم مشقة وصف إفسادهم، حيث سكت النص عن تفصيل إفسادهم، وهذا يلزم منه أن "ذي القرنين" كان على معرفة تامة بإفساد يأجوج ومأجوج في الأرض. وهذا يدل على أن مكان السدين كان مألوفا له، وأنه على دراية تامة بخصوصية البقعة فيما بين السدين، بدليل أنها كانت هدفه (**حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ**)، إذا فالسد قائم بين سدين شاهقين كالجبل.

فإذا كان المفهوم من معنى كلمة (سد) أنه حاجز، إذن نخلص من هذا أن الباب الذي يخرج منه يأجوج ومأجوج ليفسدوا في الأرض يقع تحديدا في مكان وسط بين السدين، والمفترض أن المنطقة

التي تقع بين أي جبلين تسمى لغة وادي، ففي لسان العرب: (ابن سيده: الوادي كل مفـــرج بـــين الجبال والتلال والآكام، سمي بذلك لسيلانه، يكون مسلكا للسيل ومنفذا...).



صورة لأحد الوديان، لـــو كانت المسافة بين السدين بهذا الضيق، فإنها لا تصلح لتشييد ســـد ولا لحفـــر أساسته، لأن قواعد الجبلين متلامستين تماما، والوادي ضيق جدا كما نرى، فمن يتخيل أن الـــسد بـــني في وادي فقد أخطأ.

فإن كان الموقع بين السدين وادي، فحسب المعنى اللغوي فإن المسافة بين السدين ضيقة جـــدا لا تكفي لحفر أساسات، وبناء سد ضخم كالذي بناه "ذو القرنين"، إنما يلزم أن يكون المكـــان الواقـــع بينهما واديا سهلا ممتدا، ذو أرض حجرية قابلة للحفر ووضع الأساسات، وليست بصخرية لا تحفر، ولا طينية فلا تثبت، ولا رملية فلا تستقر. نخلص من هذا أن السدين هما بناءان شيدهما المخلوق، قد يشبهان (من جهة المسمى) الجبل في ضخامته، وأن له قاعدة عريضة، وقمة ضيقة، وأربعة جوانـــب، كأي جبل نراه في الطبيعة. وأنهما مبنيان على سهل فسيح، وبينهما يقع باب يأجوج ومأجوج. وهذا الوصف أقرب إلى وصف أهرامات الجيزة.



المسافة بين الهرمين سهلة فسيحة ممتدة، والأرض حجريـــة قابلة لحفـــر وبنـــاء السد.
وفي الوسط يقـــع مـــدخل يـــأجوج ومأجوج. صـــورة توضيحية لفكـــرة الكاتب.



موضع باب يأجوج ومأجوج، وبناء السد فوقه. حسب تصور الكاتب

وفهم البعض إلى أن (**السَّدَّيْنِ**) هما جبلين عن يمين وشمال هؤلاء القوم الذين (**لاَّ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً**)، وهذا قول فيه قصور من جهة اللغة العربية، حيث أن الكلمة الواحدة تحتمل عدة دلالات مختلفة. هذا بخلاف أن "ذي القرنين" قام ببناء السد بين السدين، مما ينفي إقامة القوم بينهما، وهذا مفهوم يتعارض مع وجود "يأجوج ومأجوج" بين السدين، فلا يصح أن يجتمعوا جميعا في موضع واحد، وإلا اضطر القوم إلى إخلاء المنطقة حتى يبنى فوقها السد. وهذا ينطبق تماما على منطقة تعرف اليوم باسم (نزلة السمان)، فهي قرية صغيرة تقع أسفل هضبة الأهرامات مباشرة، وذلك من قبل المشرق، حيث أقبل "ذو القرنين" من مطلع الشمس إلى السدين.

* * * * * *

صفات القوم بين السدين:

وجد ذو القرنين سليمان عليه السلام من دون السدين قوما، قال تعالى: (**حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا**)، ووصف لنا القرآن الكريم ملامح شخصية هؤلاء القوم، مما يسهم في تحديد هوية هؤلاء القوم، حيث ذكرهم الله تعالى بثلاثة صفات هامة:

الأولى: أهم قوم (**لاَّ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً**)، وعدم الفقه أو قلته، لا يعني بالضرورة أهم أغبياء، أو حمقى، أو أعاجم لا يعرفون العربية، فمؤكد أن من يستعينون بنبي من الأنبياء هم حكماء وليسوا بأغبياء، ويعرفون "ذو القرنين" بلقبه وشخصه، إذا فهم من سكان المنطقة العربية، ولا يصح أن يكونوا أعاجم.

فمن حديث عبد الله بن عمر بن العاص رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث**)، فمعنى لا يفقه هنا أي لا يتدبر، فمن يقرأ القرآن في ثلاث ليس غبي، ولا أعجمي، ولكن سرعة القراءة تحرمه الفقه والتدبر، إذا يصير معنى الآية (**لاَّ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً**)، أي لا يكادون يتدبرون قولا يطرح عليهم، وهذا لا يعني أهم أغبياء أو أعاجم، ولكن يتميزون بصلابة العقول، وحدة الرأي، وعدم السلاسة في تفهم الآخرين.

الثانية: يتمتعون بالثراء ووفرة المال، ومنصفون في أداء حقوق الآخرين، فطلبوا بناء السد مقابل خراج يقدم إلى ذي القرنين، قال تعالى: (**فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا**)، ولكنه رفض أخذ خراج منهم، واكتفى بما آتاه الله تعالى من خير (**قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ**) فهو ملك زاهد فيما في يد الآخرين.

في لسان العرب: (الخرج والخراج، واحد: وهو شيء يخرجه القوم في السنة من مالهم بقدر معلوم. قال الزجاج: الخراج الفيء، والخرج الضريبة والجزية؛ وقرئ: (**أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ**). وقال الفراء: معناه: أن تسألهم أجرا على ما جئت به، فأجر ربك وثوابه خير).

فمن المحتمل أن هؤلاء القوم كانوا يعملون في الزراعة، وفلاحة الأرض، لأن معنى (الخراج) أنه مال يخرج كل عام، أي حين تعطي الأرض خراجها.

الثالثة: يتميزون بوفرة العدد، والقوة الجسمانية، فاستعان "ذو القرنين" بقوهم البشرية قال تعالى: (**فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ**). فلم يستعن بهم في بناء السد، ولكن استعان بهم في أمور محددة يقومون بها، وهي أمورا يسيرة، وهي الإتيان بزبر الحديد، والنفخ في النار، (**آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا**)، أما باقي المهام فتكفل بالقيام بها، بما آتاه الله من علم وقوة، فنبي الله سليمان عليه السلام، آتاه الله العلم، وسخر له شياطين الجن.

الرابعة: أن هؤلاء القوم يقيمون في سهل تحت هضبة يعلوها السدين، قال تعالى: (**حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لاَّ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً**) [الكهف: ٩٣]، فقوله تعالى (**مِن دُونِهِمَا**) أي قبلهما من أسفل.

ففي لسان العرب: (دون: دونُ: نقيض فوق وهو تقصير عن الغاية، ويكون ظرفا... وهـو مـن دون الناس والمتاع أي من مقاربهما... ابن سيده.. ودون: بمعنى خلـف وقـدام... وقـال بعـض النحويين: لدون تسعة معان: تكون بمعنى قبل وبمعنى أمام وبمعنى وراء وبمعنى تحت وبمعنى فوق وبمعنى الساقط من الناس وغيرهم وبمعنى الشرف وبمعنى الأمر وبمعنى الوعيد وبمعنى الإغراء، فأما دون بمعـنى قبل فكقولك: دون النهر قتال ودون قتل الأسد أهوال أي قبل أن تصل إلى ذلك. ودون بمعـنى وراء كقولك: هذا أمير على ما دون جيحون أي على ما وراءه. والوعيد كقولك: دونك صراعي ودونك فتمرس بي. وفي الأمر: دونك الدرهم أي خذه. وفي الإغراء: دونك زيدا أي الزم زيدا في حفظـه. وبمعنى تحت كقولك: دون قدمك خذ عدوك أي تحت قدمك. وبمعنى فـوق كقولـك: إن فلانـا لشريف، فيجيب آخر فيقول: ودون ذلك أي فوق ذلك.)

فأقرب معاني لقوله تعالى (**مِن دُونِهِمَا**) للصواب هي (من قبلهما) و(من تحتهما)، أما سائر المعاني اللغوية فلا يتفق منها شيء مع ظاهر النص.

فعلى معنى (من قبلهما) أي إن كان ذو القرنين قادما من قبل مطلع الشمس، فلا بـد أن يكـون موضع إقامة هؤلاء القوم قبل السدين من جهة المشرق تحديدا.

وعلى معنى (من تحتهما) فإن هؤلاء القوم كانوا مقيمين في سهل منخفض بينما الـسدين يقعـان فوق هضبة عالية حتى يكونوا تحتها.

فإذا جمعنا بين المعنيين (من قبلهما) و(من تحتهما)، فإن هؤلاء القوم كـانوا مقـيمين في سـهل منخفض يقع مباشرة قبل هضبة يعلوها سدين مبنيين في حجم الجبل.

فهذه الصفات مجتمعة من صلابة الرأي في تفهم الآخرين، والقوة الجسمانية، وإنصاف حقـوق الناس، تطابق نفس ملامح شخصية سكان صعيد مصر وادي النيل، ولقبهم اليوم (الصعايدة)، ويبـدأ صعيد مصر من منطقة الجيزة جنوب القاهرة حاليا حتى آخر حدود مصر، والجيزة هي المنطقة التي بني فوقها الأهرامات الثلاثة، حتى أن الأهرامات يطلق عليها (أهرامات الجيزة).

والذي يؤكد أن هؤلاء القوم عرب، وليسوا أعاجم يجهلون العربية، كما ذهب البعض إلى هؤلاء القوم من الصين أو الترك وغير ذلك، أنهم يعرفون ذو القرنين بلقبه ونعته العربي الفصيح، (**قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ**)، إذن فلقب "ذو القرنين" كان دارجا على ألسنتهم، وسليمان عليه السلام معروفـا بينـهم بلقبه، وليس بغريب عنهم جاء من بلاد بعيدة، فمخاطبتهم له بلقبه يدل على أنهم يعلمون دلالة هذا اللقب، وان له قرن من الجن، وقرن آخر الإنس، وهم على دراية كاملة بأنه الوحيد القادر على بنـاء السد. وهذه صفة يجهلها عنه سكان المناطق النائية من العالم، وتعلمها الأمم المحيطـة بمملكتـه، إذن نفهم من هذا أن هؤلاء القوم يعيشون في المنطقة العربية، ولا يستقيم أن يكونوا من سكان المنـاطق النائية من العالم.

* * * * * *

يأجوج ومأجوج:

كثرت الأساطير والخرافات حول خلق "يأجوج ومأجوج Gog and Magog" وكأنهم مخلوقات مغايرة للجن والإنس، سواء بين المسلمين أو أهل الكتاب، حتى صنف الكلام عنهم ضمن علم الأساطير والفولكلور رغم أن وجودهم حقيقة ثابت بنص الكتاب والسنة.

ولأننا هنا لسنا في بحث مقارن نستعرض فيه المفاهيم الباطلة ونقدها، إلا أنه في حقيقة الأمر لم يثبت في كتاب الله تعالى ولا سنة نبيه صلى الله عليه وسلم أن "يأجوج ومأجوج" مخلوقات مغايرة للإنس والجن. فقد ذرأ الله تعالى لجهنم كثيرا من الجن والإنس، ولم يذكر معهم جنس ثالث من المخلوقات، فلم يخص الله تعالى قوم "يأجوج ومأجوج" بذكر مع من ذرأ لجهنم، مما دل على أنهم ملحقين بأحد الثقلين من جهة الخلق، فإما أنهم خلق من الجن، وإما أنهم خلق من الإنس، وهذا ما سنقوم بتحديده في هذا المبحث.

قال تعالى: ﴿**قَالَ ادْخُلُواْ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّن الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ**﴾ [الأعراف: ٣٨].

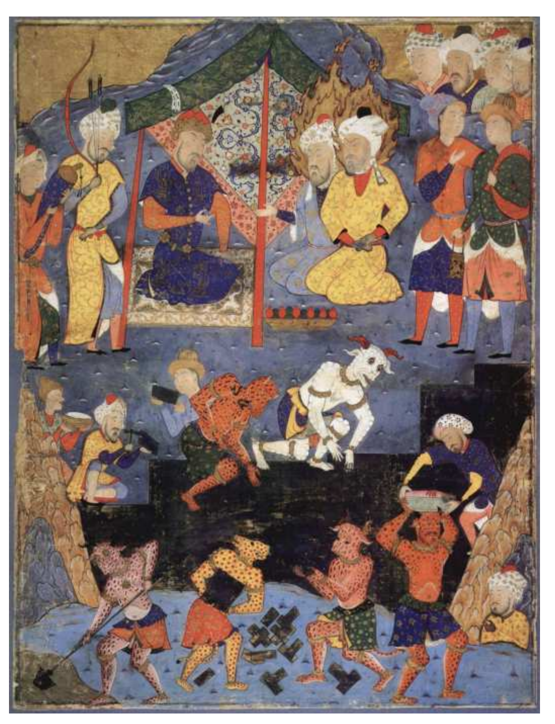
قال تعالى: ﴿**وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**﴾ [هود: ١١٩].

قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ**﴾ [الأعراف: ١٧٩].

حقيقة لم أجد لاسم "يأجوج ومأجوج" معنى في اللغة العربية، فالثابت لغة أن "يأجوج ومأجوج" اسمان أعجميان، ولا اشتقاق لهما من اللغة العربية، لأن الأعجمية لا تشتق من العربية.



تمثالين يرمزان لقوم "يأجوج ومأجوج" على أنهم عمالقة، وفقا لتصور الأساطير البريطانية، منتصبان في الرواق الملكي، في ميلبورن Melbourne. وهذا مما يدل على عالمية الاعتقاد في حقيقة وجود قوم "يأجوج ومأجوج" لدى جميع الأمم والشعوب.



لوحة فنية فارسية من القرن السادس عشر تصور تخيلهم لبناء سد يأجوج ومأجوج، حيث تصور مخلوقات شيطانية تقوم ببناء السد بين جبلين، وبمعونة بعض البشر.

في لسان العرب (هما قبيلتان من خلق الله، جاءت القراءة فيهما بهمز وغير همز. قال: وجاء في الحديث: أن الخلق عشرة أجزاء: تسعة منها يأجوج ومأجوج، وهما اسمان أعجميان. واشتقاق مثلهما من كلام العرب يخرج من أجت النار، ومن الماء الأجاج، وهو شديد الملوحة، المحرق من ملوحته؛ قال: ويكون التقدير في يأجوج ومأجوج يفعول، وفي مأجوج مفعول، كأنه من أجيج النار. قال: ويجوز أن يكون يأجوج فاعولا، وكذلك مأجوج؛ قال: وهذا لو كان الاسمان عربيين، لكان هذا اشتقاقهما، فأما الأعجمية فلا تشتق من العربية؛ ومن لم يهمز، وجعل الألفين زائدتين يقول: ياجوج من يججت، وماجوج من مججت، وهما غير مصروفين؛ قال رؤبة: لو أن ياجوج وماجوج معا؛ وعاد عاد واستجاشوا تبعا).

وبالرغم من أن اسم "يأجوج ومأجوج" أعجمي، إلا أنه ثبت بنصوص صحيحة أنهم يتكلمون بلسان عربي، فربما أنهم يتكلمون بعدة ألسنة، خاصة وأن الأصل في اسمهم أنه أعجمي. وقدر وردت نصوص صحية يتكلمون فيها بلسان عربي فصيح أورد طرفا منها:

(قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غدا).

(قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غدا إن شاء الله).

(فيقولون: قهرنا أهل الأرض، وعلونا أهل السماء!).

(فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء!).

وهذا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في صحيح الجامع، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(إن يأجوج ومأجوج ليحفرون السد كل يوم، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غدا. فيعيده الله أشد ما كان، حتى إذا بلغت مدهم، وأراد الله أن**

يبعثهم على الناس حضروا، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غدا إن شاء الله. واستثنوا، فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه، فيحفرونه ويخرجون على الناس، فينشفون الماء، ويتحصن الناس منهم في حصونهم، فيرمون سهامهم إلى السماء، فترجع وعليها كهيئة الدم الذي أجفظ، فيقولون: قهرنا أهل الأرض، وعلونا أهل السماء! فيبعث الله عليهم نغفا في أقفائهم فيقتلهم بها، والذي نفسي بيده إن دواب الأرض لتسمن وتشكر شكرا من لحومهم ودمائهم).

في صحيح الجامع عن النواس بن سمعان الكلابي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (... **ويبعث الله يأجوج ومأجوج ، وهم من كل حدب ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية ، فيشربون ما فيها ويمر آخرهم، فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء! ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر، وهو جبل بيت المقدس، فيقولون: لقد قتلنا من في الأرض، هلم فلنقتل من في السماء، فيرمون بنشابهم إلى السماء، فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دما** ...).

لكن لا يمتنع من هذا أن يتحدثوا بألسنة شتى، ومن جملتها التحدث بلسان عربي. خاصة أنهم سينسلون من كل حدب، مما دل على أن لهم بوابات عديدة في أماكن شتى من العالم، بدليل أننا تعرفنا على السد الذي بناه "ذو القرنين" وهو الهرم الأوسط في هضبة الجيزة، لكن من يدقق في الحديث الشريف سيتبين له أن بعض "يأجوج ومأجوج" من سيأتون من عدة جهات حشودا. ففي الحديث ورد ذكر إحدى الحشود **(فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية، فيشربون ما فيها ويمر آخرهم)** وقوله **(أوائلهم)** جمع أولهم أي أن هناك حشودا كثيرة منهم، فمن يمر منهم ببحيرة طبرية هم أحد تلك الحشود، لأنه قال: **(آخرهم)** فلم يقل أواخرهم، مما يدل على وجود حشود أخرى يمرون بأماكن أخرى من العالم. **(ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر، وهو جبل بيت المقدس)** وجبل بيت المقدس يقع إلى جهة الجنوب الغربي من بحيرة طبرية، أي أنهم يأتون من جهة الشمال الشرقي.

"يأجوج ومأجوج" من شياطين الجن:

ذهب بعض أهل العلم إلى الجزم بأن "يأجوج ومأجوج" من ذرية آدم عليه السلام، وكان سندهم في هذا حديث صحيح أخرجه البخاري في "صحيح الجامع" عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **(يقول الله عز وجل يوم القيامة: يا آدم، يقول: لبيك ربنا وسعديك، فينادى بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار، قال: يارب وما بعث النار؟ قال: من كل ألف** – أراه قال – **تسعمائة وتسعة وتسعين، فحينئذ تضع الحامل حملها، ويشيب الوليد، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد)** . فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: **(من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين ومنكم واحد، ثم أنتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الأبيض، أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الأسود، وإني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة)**. فكبرنا، ثم قال: **(ثلث أهل الجنة)**. فكبرنا، ثم قال: **(شطر أهل الجنة)**. فكبرنا.

ومن ذهب إلى القول بأن "يأجوج ومأجوج" من ذرية آدم ابن كثير رحمه الله فيقول في تفسيره: (ويأجوج ومأجوج من سلالة آدم عليه السلام كما ثبت في الصحيحين (**إن الله تعالى يقول: يا آدم! فيقول لبيك وسعديك. فيقول: ابعث بعث النار فيقول: وما بعث النار؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة، فحينئذ يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها. فقال: إن فيكم أمتين ما كانتا في شيء إلا كثرتاه يأجوج ومأجوج**).

وقول أهل العلم في خلق "يأجوج ومأجوج" أنهم من الإنس محل نظر، فوجه استدلالهم هو قوله (**إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار**)، فحملوا النص على أن سيخرج بعث النار من ذريته، أي أن قوم "يأجوج ومأجوج" ممن أخرجهم آدم من ذريته، ومن يدقق في الروايات ويقارن النصوص مع بعضها بعضا، سيتيقن أن المعنى المراد لا يفيد أنهم من الإنس، بل يقينا هم من كفار الجن، وأنهم جميعا في النار.

"يأجوج ومأجوج" من الهالكين:

وإن بعث النار في استفهام آدم عليه السلام: (**يا رب وما بعث النار؟**) جاء بلفظ مطلق بدون تخصيص، فهو يستفهم عن ما هو مطلق بعث النار بعمومهم، فلم يكنن سؤالا (على وجه التخصيص) عن بعث النار من الإنس، ولو كان يقصد التخصيص لقال: (وما بعث النار من ذريتي؟) فلم يثبت التخصيص في أي رواية من الروايات، فجاء بيان هذا البعث على وجه الإجمال أنهم (**من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين**)، فلم يفصل إن كان هذا العدد من الإنس فقط، أم من الإنس والجن معا.

إن عدم التفصيل جعل الصحابة يظنون كما حسب كل من لم يدقق النظر بعد ذلك في تفصيل كلام النبي صلى الله عليه وسلم أن المقصود ببعث النار هم ذرية آدم عليه السلام فقط، فجزع الصحابة رضوان الله عليهم، عن ورع وتقوى منهم، وليس عن سوء فهمهم للغة الحديث. لذلك قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: (**من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين ومنكم واحد**)، فسري عنهم.

ففي روايات أخرى عديدة فصل فيها النبي صلى الله عليه وسلم المقصود ببعث النار، وهذه الرواية الصحيحة التي ورد فيها (**إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار**) هي الرواية الوحيدة التي ذكرت بلفظ (**من ذريتك**). ففيها إضافة لم ترد في جميع الروايات الأخرى، وهذه الرواية صحيحة من جملة روايات صحيحة مختلفة أخرى لم يرد فيها هذا اللفظ. حيث فصلت الروايات الأخرى المقصود ببعث النار، فأكملت الروايات الأخرى ما سقط من كلام راوي الحديث.

حيث فصلت الروايات الأخرى المقصود ببعث النار بأنه عموم الخليقتين، الجن والإنس، وذكرت من ضمنها يأجوج ومأجوج. إذن فبعث النار يشترك فيه الخليقتين، وليس قاصرا على ذرية آدم عليه السلام فقط، لذلك فمضمون الأمر لآدم عليه السلام كان إخراج بعث النار من ذريته فقط، أي من الإنس لا من الجن.

في رواية صحيحة عن أنس بن مالك أوردها الطبري في تفسيره قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم: (**وإن معكم لخليقتين ما كانتا في شيء قط إلا كثرتاه: يأجوج ومأجوج، ومن هلك من كفرة الجن والإنس**) أفرد فيها يأجوج ومأجوج بالذكر كناية عن دخولهم النار جميعا، فلم يستثني منهم أحدا، ثم استثنى الهالكين من كفار الجن والإنس، فدل قوله على دخول عموم يأجوج ومأجوج مع الهالكين من الكافرين، وأن مصيرهم جميعا النار مع من كفر من الجن والإنس، فلم تفصل هذه الرواية إن كانوا من الجن أم الإنس، لكنها أثبتت أن بعث النار لا يشمل يأجوج ومأجوج فقط، ولكن يشمل أيضا كفار الجن والإنس.

أفردت الأحاديث الشريفة "يأجوج ومأجوج" بالذكر، فلم تستثني طائفة منهم إلى النار، أو إلى الجنة، مما دل على أن مصيرهم إلى النار جميعا. في حين استثنت النصوص من الإنس الهالكين من بني آدم، والهالكين من الجن، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعث النار: (**وإن معكم لخليقتين ما كانتا في شيء قط إلا كثرتاه: يأجوج ومأجوج، ومن هلك من كفرة الجن والإنس**)، فجاء قوله عاما جامعا كل (**يأجوج ومأجوج**)، ثم عطف عليهم (**ومن هلك من كفرة الجن والإنس**)، فاستثنى الهالكين من كفرة الجن والإنس، وعطفهم على يأجوج ومأجوج، مما دل على أنهم مشتركون في الكفر، وأنهم جميعا هم بعث النار ، فدل على دخول عموم "يأجوج ومأجوج" النار، وليس معناه أن كل بعث النار هم "يأجوج ومأجوج" فقط. فقد أفرد بعض الرواة "يأجوج ومأجوج" بالذكر، إلا أن النصوص الأخرى جزمت أن إفراد "يأجوج ومأجوج" بالذكر لا يمنع دخول غيرهم في بعث النار، سواء من الجن أو الإنس.

في رواية صحيحة من قول عمران بن حصين أوردها ابن جرير الطبري في تفسيره، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (**فإن معكم خليقتين ما كانتا في قوم إلا كثرتاه، فمن هلك من بني آدم، ومن هلك من بني إبليس، ويأجوج ومأجوج**). فقوله: (**فمن هلك من بني آدم**) وهؤلاء هم كفار الإنس، ثم ذكر الخليقة الأخرى فقال: (**ومن هلك من بني إبليس، ويأجوج ومأجوج**) فعطف (**يأجوج ومأجوج**) على (**بني إبليس**)، و لم يعطف (**يأجوج ومأجوج**) على (**بني آدم**)، فألحق يأجوج ومأجوج بالجن، الذين منهم إبليس وبنيه، قال تعالى: (**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً**) [الكهف: ٥٠]. إذا فيأجوج ومأجوج هما قوم من الجن، وليسوا من ولد آدم عليه السلام كما ذهب بعض أهل العلم. هذا والله أعلم.

مسكن "يأجوج ومأجوج":

قال تعالى: (**وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ * حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ**) [الحج: ٩٥، ٩٦]. فقوله تعالى (**وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ**) أي واجب على أهل قرية (**أَنَّهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ**) قال ابن عباس في تفسير الآية: "واجب على قرية أهلكناها أنه لا يرجع منهم راجع". وهذه القرية استوجب أهلها النار والخلود فيها بسوء أعمالهم، لقوله تعالى: (**أَهْلَكْنَاهَا**) ولها

معنيان، المعنى الأول؛ أمتناها، وهذا لا يصح، لأن الله تعالى يتكلم عن قوم أحياء، حيث يقول (**أَنَّهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ**)، فلا تصح بمعنى لا يرجعون إلى الله، ولا بمعنى لا يرجعون من الموت، فمن يموت لا يرجع من الموت إلى الدنيا، ومن مات لابد أن يرجع إلى الله تعالى. إنما معناها حرام عليهم أن يرجعوا إلى ما كانوا عليه من إفساد في الأرض، وهذا هو الصحيح، لذلك فهذه القرية كانت ولا تزال على قيد الحياة لم تمت، ولكن أهلكها الله تعالى بأن استوجب أهلها النار والخلود فيها بسوء أعمالهم، وهذا هو المعنى الثاني لقوله (**أَهْلَكْنَاهَا**).

في لسان العرب: (وفي الحديث عن أبي هريرة: إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم؛ يروى بفتح الكاف وضمها، فمن فتحها كانت فعلا ماضيا ومعناه أن الغالين الذين يؤيسون الناس من رحمة الله تعالى يقولون هلك الناس أي استوجبوا النار والخلود فيها بسوء أعمالهم، فإذا قال الرجل ذلك فهو الذي أوجبه لهم لا الله تعالى، أو هو الذي لما قال لهم ذلك ويأسهم حملهم على ترك الطاعة والانهماك في المعاصي، فهو الذي أوقعهم في الهلاك، أما الضم فمعناه أنه إذا قال ذلك لهم فهو أهلكهم أي أكثرهم هلاكا، وهو الرجل يولع بعيب الناس ويذهب بنفسه عجبا، ويرى له عليهم فضلا).

فقوم "يأجوج ومأجوج" هم من الهالكين، أي استوجبوا النار والخلود فيها بسوء أعمالهم، فقد كانوا يفسدون في الأرض من قبل أن يحرمها الله عليهم ببناء "ذو القرنين" السد بيننا وبينهم، قال تعالى: (**قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا**) [الكهف: ٩٤]، حتى إذا استفتحوا بأن استثنوا بأن يقولوا بإذن الله (**قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غدا إن شاء الله**)، حينها يأذن الله في خروجهم، فيرجعوا ليفسدوا في الأرض مرة أخرى (**حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ**). فكان السد رحمة من الله حتى يأتي وعده بخروجهم فيجعله دكاء، قال تعالى: (**قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاء وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا**) [الكهف: ٩٨].

وقد قرن النبي صلى الله عليه وسلم قوم "يأجوج ومأجوج" بالهالكين من كفار الجن والإنس، مما يجزم بأنهم استوجبوا النار والخلود فيها.

ففي رواية صحيحة عن أنس بن مالك أوردها الطبري في تفسيره قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم: (**وإن معكم لخليقتين ما كانتا في شيء قط إلا كثرتاه: يأجوج ومأجوج، ومن هلك من كفرة الجن والإنس**).

في رواية صحيحة من قول عمران بن حصين أوردها ابن جرير الطبري في تفسيره، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (**فإن معكم خليقتين ما كانتا في قوم إلا كثرتاه، فمن هلك من بني آدم، ومن هلك من بني إبليس، ويأجوج ومأجوج**).

وقوله (**قَرْيَةٍ**) لها معان عدة، في لسان العرب: (والقرية من المساكن والأبنية والضياع وقد تطلق على المدن). إذن يصح القول (مسكن يأجوج ومأجوج)، و(بناء يأجوج ومأجوج) و(ضيعة يأجوج

ومأجوج) و(مدينة يأجوج ومأجوج)، والأصح أن نقول؛ (مسكن يأجوج ومأجوج) لأنهم يسكنون جحورا تحت الأرض، فلا هم يقيمون في أبنية شاهقة فوق سطح الأرض، ولا ضياع مزروعة، ولا مدن مسورة ترى الشمس والنور.

إذا ربطنا هذه الآية بالتي تليها، سنعلم أن أهل هذه القرية الهالكة، هم "يأجوج ومأجوج" الذين استوجبوا النار والخلود فيها بسوء أعمالهم، قال تعالى: (**حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ**) فقوله (**حَتَّى إِذَا**) فإن (**حَتَّى**) حرف جر لانتهاء وغاية، و(**إِذَا**) ظرفا للمستقبل متضمنة معنى الشرط، لأنه جاء بعدها فعل ماضي (**فُتِحَتْ**)، والتاء في آخر الكلمة هي تاء التأنيث، عائدة على (**قَرْيَةٍ**)، و(**يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ**) هو اسم أهل هذه القرية. وقوله (**فُتِحَتْ**) أي استفتحت فطلبت الفتح بإذن الله، وذلك أن يأجوج ومأجوج لا يستثنون كل يوم، ولكن عندما يستثنون يفتح لهم (**قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غدا إن شاء الله. واستثنوا، فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه، فيحفرونه ويخرجون على الناس**) فيكون المعنى؛ حتى إذا استفتح أهل قرية يأجوج ومأجوج رجعوا إلى إفسادهم في الأرض.

ظهور شياطين الجن:

نخلص من هذا أن إفساد يأجوج ومأجوج في الأرض، كان من جنس إفساد شياطين الجن، بدليل أنه لا يدان لقوتهم، ففي رواية من حديث صحيح عن النواس بن سمعان الكلابي في صحيح ابن ماجة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**إذ أوحى الله إليه يا عيسى إني قد أخرجت عبادا لي لا يدان لأحد بقتالهم وأحرز عبادي إلى الطور**)، فإن قوله (**لا يدان لأحد بقتالهم**) دل على فرط قوتهم كجن، وأن لا قبل للبشر بقتالهم.

قال تعالى: (**قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ**) [الكهف: ٩٤]، والله تعالى أعلى وأعلم إن كان إفساد "يأجوج ومأجوج في الأرض، عن ظهور منهم للبشر حينها، أم كان يتم إفسادهم وهم متخفون عن أعين الإنس. لكن الراجح لدي حسب ظاهر النصوص، أنهم كانوا يظهرون عيانا للناس، بدليل أن الناس كانت تميزهم باسم "يأجوج ومأجوج"، والإنسان لا يميز شخصا باسمه إلا أن يكون ظاهرا له شكلا. بدليل أنهم طلبوا من "ذي القرنين" بناء سد مادي ليحجبهم عنهم، والمادي يحجب ماديا مثله.

ولو كانوا متخفين عن أعين البشر لما ظهروا للناس عيانا بعد قتل المسيح عليه السلام للدجال أعاذنا الله من شر فتنته. وهذا بدليل من حديث بسند حسن صحيح عن أبو سعيد الخدري ذكره شيخنا الألباني رحمه الله في صحيح ابن ماجة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(تفتح يأجوج ومأجوج فيخرجون كما قال الله تعالى (وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ) فيعمون الأرض وينحاز منهم المسلمون حتى تصير بقية المسلمين في مدائنهم وحصونهم ويضمون إليهم مواشيهم، حتى أنهم ليمرون بالنهر فيشربونه حتى ما يذرون فيه شيئا فيمر آخرهم على أثرهم فيقول قائلهم: لقد كان بهذا المكان مرة ماء. ويظهرون على الأرض فيقول قائلهم: هؤلاء أهل

الأرض قد فرغنا منهم، ولننازلن أهل السماء. حتى إن أحدهم ليهز حربته إلى السماء فترجع مخضبة بالدم فيقولون: قد قتلنا أهل السماء. فبينما هم كذلك إذ بعث الله دواب كنغف الجراد فتأخذ بأعناقهم فيموتون موت الجراد يركب بعضهم بعضا، فيصبح المسلمون لا يسمعون لهم حسا. فيقولون: من رجل يشري نفسه وينظر ما فعلوا. فيترل منهم رجل قد وطن نفسه على أن يقتلوه فيجدهم موتى فيناديهم: ألا أبشروا فقد هلك عدوكم. فيخرج الناس، ويخلون سبيل مواشيهم، فما يكون لهم رعي إلا لحومهم، فتشكر عليها كأحسن ما شكرت من نبات أصابته قط).

والشاهد من الحديث هو قوله صلى الله عليه وسلم: (**فيقولون من رجل يشري نفسه وينظر ما فعلوا فيترل منهم رجل قد وطن نفسه على أن يقتلوه، فيجدهم موتى فيناديهم ألا أبشروا فقد هلك عدوكم**) فقولهم (**ينظر ما فعلوا**) دليل على إمكان رؤية الرجل لقوم "يأجوج ومأجوج"، رغم أهم من الجن، وهذه خصوصية وردت في حق "يأجوج ومأجوج" كطائفة مشاهدة من الجن للبشر، مما يدل على عدم امتناع ظهور الجن للناس على إطلاقه، فظهورهم تبعا لمشيئتهم، هذا إن امتلك الجني من القوة مثل ما لقوم "يأجوج ومأجوج".

وقد ذهب كثير من أهل العلم إلى استحالة رؤية الجن على عمومهم، وقولهم محل نظر، وسندهم في مذهبهم قول الله تعالى: (**يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ**) [الأعراف: ٢٧]، والشاهد من الآية قوله تعالى (**إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ**) فحملوا كلمة (**قَبِيلُهُ**) على عموم جنس بني الجن، وهذا فيه مغالطة من جهة اللغة، فقبيله تعني جماعته ولا تعني مطلقا بني جنسه. وعلى هذا فالمعنى اللغوي لكلمة (**قَبِيلُهُ**) يسقط الاستدلال بالآية الكريمة في غير موضعها، لمن قال باستحالة رؤية الإنس للجن، أو ظهور الجن متجسدين للعيان.

في لسان العرب: (القبيل: الجماعة من الناس يكونون من الثلاثة فصاعدا من قوم شتى، كالزنج والروم والعرب، وقد يكونون من نحو واحد، وربما كان القبيل من أب واحد كالقبيلة، وجمع القبيل قبل، واستعمل سيبويه القبيل في الجمع والتصغير وغيرهما من الأبواب المتشابهة).

المنكرين هو ما وقع لكثير من الصحابة رضوان الله عليهم، وللكفار، من ظهور شياطين الجن لهم، وهذا ثابت بنصوص صحيحة صريحة الدلالة بلا تأويل لا لبس فيها، ولا شك. إذا فظهور "يأجوج ومأجوج" للعيان في الماضي البعيد، وفي المستقبل القريب، وظهور الشياطين للصحابة والمشركين، ينفي مذهب من قال بامتناع تجسد الجن وتخفيهم عن أعيننا، وينفي الخصوصية الزمانية والمكانية والشخصية، فرؤية الجن ممكن في كل زمان ومكان، ولكل صالح وطالح، ومؤمن وكافر.

* * * * * *

الأحواض الحجرية:

ذكر الله تعالى أنه سخر لسليمان عليه السلام شياطين الجن، يعملون له ما يشاء، ومما كانوا يعملون له (**جِفَانٍ كَالْجَوَابِ**)، وهذا من قوله تعالى: (**يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاء مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ**) [سبأ: ١٣]، وهذه الجفان هي الأحواض الحجرية التي تخلفت عن بناء سدود يأجوج ومأجوج التي شيدها ذو القرنين، وهو لقب سليمان عليه السلام، وكانت الجفان تستخدم كأحواض حجرية لحفظ ماء الشرب للعاملين في بناء السدود من البشر، وشياطين الجن المسخرين لسليمان عليه السلام.

في لسان العرب (الجفنة معروف، أعظم ما يكون من القصاع، والجمع جفان وجِفن ... وفي الصحاح الجفنة كالقصعة).

وفي قوله تعالى: (**جِفَانٍ كَالْجَوَابِ**)، يصف الجفان بأنها كالجواب، لأن (**كَالْجَوَابِ**) متعلق بنعت لـ (**جِفَانٍ**). وهذا تشبيه مرسل، والكاف هنا أداة تشبيه، ولمعرفة وجه الشبه يجب أن نتعرف على معنى كل كلمة (جواب). ففي لسان العرب: (الجوبة: الحفرة).

قال ابن كثير: (الجواب جمع جابية وهي الحوض الذي يجيء فيه الماء كما قال الأعشى ميمون بن قيس

تروح على آل المحلق جفنة   كجابية الشيخ العراقي تفهق

وقال علي بن طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما (كالجواب) أي كالجوبة من الأرض وقال العوفي عنه كالحياض وكذا قال مجاهد والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم).ا. هـ

وفي لسان العرب: (حوض: حاض الماء وغيره حوضا وحوضه حاطه وجمعه. وحضت اتخذت حوضا. واستحوض الماء: اجتمع. والحوض: مجتمع الماء معروف، والجمع أحواض وحياض. وحوض الرسول، صلى الله عليه وسلم: الذي يسقي منه أمته يوم القيامة. حكى أبو زيد: سقاك الله بحوض الرسول ومن حوضه).

وفي لسان العرب: (قصع: القصعة: الضخمة تشبع العشرة، والجمع قصاع وقصع).

و(الجواب) مصدرها (جوب) وتشترك مع (جبب) في نفس جذور الكلمة، ومنها فعل (جاب) وهذا من قول الله تعالى: (**وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ**) [الفجر: ٩]. قال ابن كثير: (يعني يقطعون الصخر بالوادي قال بن عباس ينحتونها ويخرقونها وكذا قال مجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد ومنه يقال مجتابي النمار إذا حرقوها واجتاب الثوب إذا فتحه ومنه الجيب أيضا).

وبالجمع بين المعاني المختلفة، فإن (**جِفَانٍ كَالْجَوَابِ**) ما هي إلا قصاع يشبهها الله تعالى بالأحواض المحفورة في الصخر، وهي مما كانت تصنعه شياطين الجن لسليمان عليه السلام. قال تعالى: (**يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاء مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ**).

السقاية:



والظاهر لدي والله أعلم أن هذه الجفان الصخرية كان يجبى إليها الماء من نهر النيل، ويصب فيها لزوم شرب العمال المشاركين في تشييد السد على كثرتهم، خاصة أنهم يعملون عملا شاقا مضنيا، في منطقة قاحلة، وعلى ارتفاع شاهق. فبكل بد سيحتاج سليمان عليه السلام إلى توفير ماء للشرب لكل هذه الحشود من العاملين، سواء كانوا من شياطين الجن الذين سخرهم الله تعالى له يبنون له ما يشاء، أو حشود القوة البشرية الذين كانوا يجمعون له زبر الحديد.



إلى عهد قريب كان السقا يحصل على الماء من نهر النيل

فمعضلة توفير مياه الشرب للعمال كانت تشكل أكبر عقبة تواجه من يفكر في تشييد بناء ضخم كالأهرامات، فوق هضبة صخرية لا يمكن تنضح بالماء إن حفر بئر فيها. وهذا يقتضي وجود عمال للسقاية، كانت مهمتهم ملئ القرب بالماء من نهر النيل، وحمله إلى موقع البناء فوق الهضبة، ليصب في حوض كبير من الحجر يتسع لكمية وفيرة من الماء تكفي حشود العمال من الجن والبشر، وتغطية الحوض بغطاء حجري حتى لا تصل إليه الأتربة جراء العمل ليلا ونهارا، أو وصول الحشرات إليه.

أما الجرار الفخارية فكانت معرضة للكسر نتيجة انهيار الحجارة حين رفع الصخور أثناء عملية البناء، سوف يفقد العمال من الإنس والجن مصدر الماء، خاصة إن لم يتوفر لهم حوض صخري شديد الصلابة ذو سعة كبير يستوعب حاجتهم من ماء الشرب. لأن عملية نقل الصخور والحجارة كانت تتم بطريقة غير عادية، وتتطلب تنسيق وتنظيم غاية في الدقة، حيث كانت شياطين الجن تعمل بين يدي سليمان عليه السلام، فترفع الحجارة عن الأرض، وتنقلها من مكان إلى الآخر، وترصها فوق بعضها البعض، قال تعالى: ﴿**وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ**﴾ [سبأ: ١٢]. هذا بخلاف أن الحجارة الجرانيتية تحافظ على الماء فتعكس حرارة الشمس ولا تمتصها، بينما تبرد الماء ليبقى عذبا باردا سائغا للشاربين في أشد أيام القيظ والحر.



كان فيضان نهر النيل يصل قريبا تحت سفح هضبة الأهرامات في الجيزة حيث كان مصدر شرب البنائين في سد يأجوج ومأجوج، في منطقة تسمى اليوم "نزلة السمان".

وعلى هذا فيبدو أن مهنة "**السقا**"، لتوصيل مياه الشرب إلى البيوت، أو لبيعها للعطشى في الطرقات، كانت معروفة في زمن بناء السد، واستمرت سارية إلى عهد قريب في مصر حتى انقرضت تماما. حيث كان نهر النيل في مواسم الفيضان يمتد ماءه حتى يصل إلى قرب هضبة الأهرامات، وبعد انحسار الفيضان كان يتخلف برك مائية كبيرة، وكان هذا قبل تشييد السد العالي، أما اليوم فهذه المنطقة تعرف باسم "نزلة السمان"، وصارت اليوم مزدحمة بالسكان الذين يعتمدون في أرزاقهم على خدمة السياح وتأجير الخيول والجمال لهم.



كان نهر النيل يفيض فيصل ماؤه حتى قرب هضبة الأهرامات فيه، فيهدم القرى والبيوت، ورغم هذا لا تزال قرية "نزلة السمان" تحوي تحت أرضها الكثير من الكنوز التي تكتشف حين حفر الأساسات لبنـــاء بيوت جديدة.



القرويات يحملن الماء في "البلاص" من برك المياه قرب الأهرامات لاحظ الطمي جراء الفيضان.



ثلاثة من السقاة يـــصبون المـــاء في "الزير"، وكما يبـــدو أنـــه صـــدقة لعابري سبيل، وكان ولا يزال حتى يومنـــا هـــذا متواجـــد في بعـــض الطرقات، كما هي عادة المصريين.

وبعد أن ينتهي بناء الأهرامات تخلف داخله هذا الحوض، أو جفان الشرب الحجرية، وفي داخل الأهرامات يوجد بالفعل أحواض محفورة من الجرانيت، وهو نوع من الحجارة مغاير لنوع الأحجار الكلسية التي بنيت منها الأهرامات. وهو عبارة عن صخرة جرانيتية منحوتة بتجويف على هيئة حوض هيئة ذات شكل متوازي المستطيلات، و لم يتم العثور داخل تلك الأحواض على أية مومياوات.



جفنة حجرية لحفظ الماء داخل الهرم الأوسط

يزعم الأثريون أن هذه الجفان الحجرية هي مجرد توابيت لحفظ المومياوات، ولكن الملفت في الأمر أن الأحواض الحجرية داخل الهرم الأكبر والأوسط ليسا كسائر التوابيت الحجرية الفرعونية، خاصة وأن هذين التابوتين لا يحتوي جوانب أي منهما على أية نقوش محفورة، سواء تدل على شخصية المتوفى، أو تحمل رموزا ودلالات دينية، حيث لم يتمكن قدماء المصريين من اقتحام هذين الهرمين، والنقش عليهما كعادتهم، فاحتفظت الأحواض بجوانبها بغير نقوش عليها كما تركها من قاموا بحفرها، وهم شياطين الجن لنبي الله سليمان عليه السلام.



جفنة حجرية لحفظ الماء داخل الهرم الأكبر لا تحتوي على أي نقوش.

فعادة ما كانت التوابيت يحفر عليها نقوشا لواجهة قصر أو مترل، وتضاف إليها نقوشا على شكل أبواب ونوافذ وهمية لاعتقادهم أنها تسهل دخول وخروج المتوفى أو روحه، وذلك لاعتقاد المصريين القدماء أن التابوت هو البيت والمقر الدائم للمتوفى في الحياة الآخرة، بينما التوابيت الموجودة في الهرمين الكبير والأوسط خاليان تماما من أي نقوش ومومياوات، وهذا يجزم بأنها ليست توابيت.

ولا يصح أن يكون صاحب الهرم والتابوت ملكا، فيأمر ببناء هرم بهذه الضخامة، ثم لا يكلف عماله بتصميم تابوت يحوي نقوشا غاية في الروعة، تتفق وعظمة هذا البناء الضخم وتليق بمن يرقد فيه، ليترك تابوته مجهول الهوية، بغير نقوش تنسبه إلى صاحبه، وهذا مما يؤكد أن الغرض الذي صنع لأجله هذا الحوض ليس لحفظ المومياوات، إنما أطلق الأثريون عليه مسمى تابوت مجازا، وذلك حين أعياهم الوصول إلى معلومات صحيحة عنه.

شبهة وجود مومياوات داخل الجفان الحجرية:

قد يقول البعض أنه لا يصح أن تكون هذه الأحواض الحجرية جفان لحفظ الماء، بينما تم العثور على مومياوات داخل الكثير منها، خاصة وأن عليها نقوشا محفورة تؤكد أنه تابوت لشخص ما. وعلى سبيل المثال لا الحصر، نجد على تابوت تحتمس الأول نقوشا مثل العديد من التوابيت الملكية في الأسرة الثامنة عشرة، من صخور الحجر الرملي المتبلور (الكوارتزيت). الأبعاد: القطر ٤٠ سم الطول ٧٠ سم الارتفاع ٦٠ سم. والطرف المواجه للمشاهد يناظر موقع قدمى المومياء. وتجثم إيزيس فوق العلامة الدالة على الذهب، وتمسك بحلقة "شن" للحماية. وتظهر نفتيس في وضع مماثل؛ على الطرف المقابل من التابوت. وتبدي كل معبودة من الاثنتين على رأسها رمزها الخاص بها؛ فوق غطاء الرأس "الخات"، بالصل المقدس في المقدمة. وكان هذا التابوت ينتمي أصلا إلى الملكة حتشبسوت، بعد اعتلائها العرش. ثم تم نقل مومياء والدها، خصص التابوت لتحتمس الأول.



إن وجود نقوش هيروغليفية تحوي أسماء بعض الفراعنة لا يعني بالضرورة أنهم بالفعل من أمروا بنحت هذه الجفان، بل هناك احتمال آخر ممكن، وهو أنهم عثروا على هذه الجفان الحجرية من مخلفات ما بنته شياطين الجن لسليمان عليه السلام، فاعتبرها حكام مصر الفرعونية موروثا لهم، وتمجيدا لهم أن يدفنوا فيها. ثم نقشوا عليها صورا لمعبوداتهم الوثنية، وطلاسمهم السحرية، وأسمائهم الهيروغليفية، لينسب إنشاؤها إليهم كذبا وبهتانا، فتحولت جفان الماء إلى توابيت لحفظ المومياوات.

فلصوص الآثار والحضارات موفرون في كل زمان ومكان، وهذا افتراض غير مستبعد، بل هو الاحتمال الأصوب، خاصة وأنهم عجزوا عن دخول الأهرامات الثلاثة، لأنها كانت مكسوة من الخارج بطبقة سميكة من الحجارة، وليس لها أبواب، وبالتالي لم يتمكنوا من نقش أي كتابات هيروغليفية على الجفان داخل الأهرامات أو سدود يأجوج ومأجوج، حيث لم يتمكن أحد من دخول الأهرامات، اللهم إلا في زمن الخليفة المأمون ابن هارون الرشيد عليه رحمة الله، استطاع عماله دخول الهرم الأصغر فقط.



الحوض الحجري داخل الهرم الثاني

* * * * * *

مكونات السد ومراحل بناءه:

إن تشييد أي مبنى وفق أصول هندسة الإنشاء المعماري لابد وأن يتكون من جـزأين، القواعـد، والمبنى، بدون هذا التقسيم في تشييد أي مبنى فإنه لا يمكن أن يستقر فوق سطح الأرض، خاصة وإن كان سدا عظيما مثل سد "يأجوج ومأجوج" فلا بد لمؤسسه أن يراعـي اسـتمراره قائمـا لآلاف السنين، وكذلك الوظيفة المنوط بها السد، وعليه فالسد يتكون من ثلاثة أجزاء:

الجزء الأول: ردم ما يراد سده تحت سطح الأرض.

الجزء الثاني: قاعدة يتم ترسيخها تحت سطح الأرض.

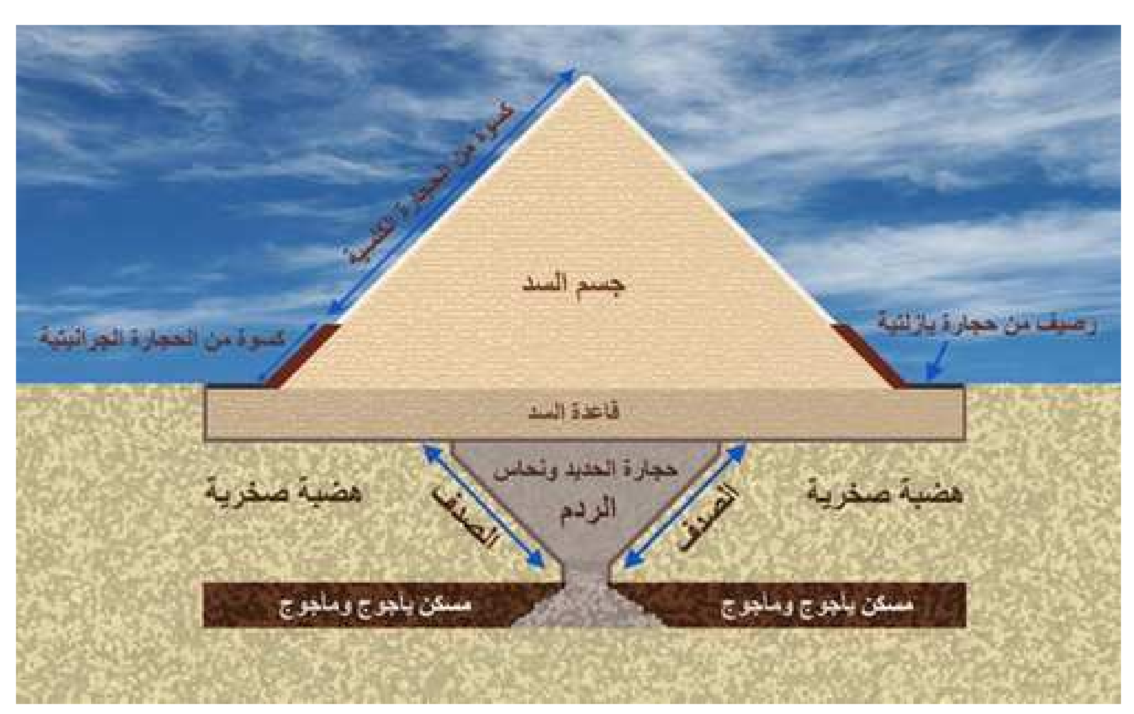
الجزء الثالث: مبنى مشيد فوق سطح الأرض.

وهذا التقسيم الهندسي نلاحظه في الجبال الشاهقة لابد لها من أساس ممتد تحـت الأرض، لـذلك سماها الله تعالى أوتادا، قال تعالى: (**وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا**) [النبأ: ٧]، وهذا مما يساعد على رسوخ الجبـال، وثباتها ورسوها قال تعالى: (**وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ**) [الرعد: ٣]. فوضع الأساسات هي أهم خطوة في الإعداد لبناء أي مبنى في العالم، ورفع القواعد هو أول خطوة قام بها إبراهيم عليـه السلام حين قام ببناء الكعبة، فأهمية بناء القواعد لأي بناء أصل هندسي ثابت في كتاب الله العظـيم، قال تعالى: (**وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ**) [البقرة: ١٢٧].

فبناء السد له خصوصية من حيث الوظيفة المشيد لها، حيث يجيب أن يراعى فيه عـزل "يـأجوج ومأجوج" لمنعهم من الصعود إلى سطح الأرض. وعزلهم كان أول خطوة قام بها "ذو القرنين" عنـد تشييد السد، وهي ما تناوله القرآن الكريم بالتفصيل في سورة الكهف. قال تعالى: (**قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَـدًّا * قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا * آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّـى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا**) [الكهف: ٩٤: ٩٦].

موقع الردم:

حيث ورد ذكر لفظين منفصلين في محكم الآيات وهما (**سَدًّا**)، و(**رَدْمًا**)، فالسد هو مجمل البنـاء الذي قام بتشييده، ويشمل القاعدة تحت سطح الأرض، والبناء المشيد فوق سطح الأرض. أما الـردم فهو خلاف السد، ومتواجد أسفل قاعدة السد، ووظيفته ردم الحفرة التي يخرج منها قـوم "يـأجوج ومأجوج". فالخطوات التي فصلها القرآن الكريم متعلقة بردم حفرة "يأجوج ومأجوج"، ولا علاقة لها ببناء السد على مجمله، والسبب في هذا أن مرحلة الردم هي أهم مرحلة في بناء الـسد، لأنها تمـتم بالعزل بيننا وبين "يأجوج ومأجوج". فلا أهمية لذكر بناء السد مقارنة بأهمية تفاصـيل عـزلهم، لأن كيفية تشييد السد من البديهيات المعمارية التي لا تحتاج إلى تفصيل وشرح.



رسم بياني لمكونات السد وأجزاءه

لقد حدد ذو القرنين مكان الردم بمنتهى الدقة، فقال: (**بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ**) ظرف مكان يفيد أن الـــردم تم عمله في مكان وسط يقع بين البشر فوق سطح الأرض، وبين "يأجوج ومأجوج" في جوف الأرض، فتم عمل الردم في المسافة الفاصلة ما بين سطح الأرض وأعلى التجويف في باطن الأرض. لـــذلك لا يـــصح القول بأن الردم تم عمله فوق سطح الأرض، إنما قاعدة السد هو ما تم بناؤه فوق الردم، وفـــوق ســـطح الأرض يرتفع جسم السد. فإن كان المدخل إلى "يأجوج ومأجوج" يقع بين السدين، إلا أن مكونـــات الردم من زبر الحديد والقطر تسد ما بين الصدفين أي جانبي جوف المدخل.

إذن الردم المذكور في القرآن والسنة ليس هو جسم السد الظاهر فـــوق ســـطح الأرض، ولكـــن المقصود بالردم هنا ما تم به سد مدخل يأجوج ومأجوج، الحجارة التي سد بهـــا الفتحـــة أو البـــاب الموصل إلى تحت الأرض حيث يقيم "يأجوج ومأجوج". وعليه لا يصح القول أن الردم هـــو عـــين السد، بل إن الردم جزء لا يتجزأ من بنيان السد. ففي روايتين صحيحتين ذكر الـــردم علـــى وجـــه الخصوص فقال: (**فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج**) فخصص الردم بنسبته إلى يأجوج ومأجوج، وذكر مرة على وجه العموم (**إن يأجوج ومأجوج ليحفرون السد كل يوم**) فجعلهم يحفرون كامل السد، وليس الردم فقط، مما يفيد اختلاف دلالة الردم عن دلالة السد، وأن الردم جزء من السد.

فمن حديث زينب بنت جحش رضي الله عنها قالت: استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم من نومه وهو محمر وجهه وهو يقول: (**لا إله إلا الله! ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم مـــن ردم يأجوج ومأجوج**). وعقد بيديه عشرة. قالت: زينب قلت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: (**إذا كثر الخبث**).

ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه في صحيح الجامع، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**إن يأجوج ومأجوج ليحفرون السد كل يوم، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غدا، فيعيده الله أشد ما كان، حتى إذا بلغت مدتهم، وأراد الله أن يبعثهم على الناس حضروا، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غدا إن شاء الله، واستثنوا، فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه، فيحفرونه ويخرجون على الناس، فينشفون الماء، ويتحصن الناس منهم في حصونهم، فيرمون سهامهم إلى السماء، فترجع وعليها كهيئة الدم الذي أجفظ، فيقولون: قهرنا أهل الأرض، وعلونا أهل السماء! فيبعث الله عليهم نغفا في أقفائهم فيقتلهم بها، والذي نفسي بيده إن دواب الأرض لتسمن وتشكر شكرا من لحومهم ودمائهم**).



المرحلة الأولى:

تنقسم المرحلة الأولى إلى عدة خطوات، فلابد أولا من حفر الأساس، ثم جمع زبـــر الحديـــد، ثم تسوية ما بين الصدفين، ثم النفخ، ثم صب النحاس المذاب.

حفر الأساس:

عند تشييد أي بناء فأول ما يقوم به البناءون هو حفر الأرض وصب الأساسات، وحقيقة لم يـــرد في القرآن ذكر أن "ذو القرنين" قام بالحفر لتأسيس السد وتشييده، لأن وضع الأساسات لتشييد أي بنـــاء في العالم من المسلمات التي لا يقدم ذكرها جديدا، بالإضافة إلى أن الأساسات لا بد أن يحفر لهـــا عميقـــا في باطن الأرض، وبدون حفر لا يكون للأساس وجود، وبالتالي ينتفي وجود بناء للسد. حيث اقتصر القرآن الكريم على ذكر أهم ما اعتمد عليه تأسيس بناء السد من تفاصيل، تعد وثيقة الصلة بمنع يأجوج ومأجوج من الخروج للإفساد في الأرض، فحدد الهدف من بناءه، وبين تفاصيل تحقيق هذا الهدف.

فمن الواجب أن نذكر حفر الأساسات عند دراستنا لكيفية بناء السد، كخطوة تهدف إلى إسقاط الآيات في الواقع حتى نستطيع أن نتبين وجه دلالة النص. ولكي نعلم أن القرآن الكريم عندما ذكر ما قام به "ذو القرنين" من عمل، لم يذكر وصفا شاملا لكل خطوات بناء السد، إنما ذكر أهم مراحـــل وضع الأساس لبناء السد، وبين الحكمة البالغة من تنفيذها، وهذا من عظيم بلاغة كـــلام الله تبـــارك وتعالى. وبناءا عليه فليس كل ما ذكره الله تعالى في قصة بناء السد من مراحل هو فقط ما تم بالفعـــل من عمل، إنما هناك مراحل أخرى من التشييد سكت القرآن الكريم عن ذكرها، لكونها مـــسلمات، فكان يجب علينا ذكرها عند دراستنا للقرآن الكريم، حتى نسقط الآيات في موضعها الصحيح، وبهذا يستقيم فهمنا لدلالة النص.

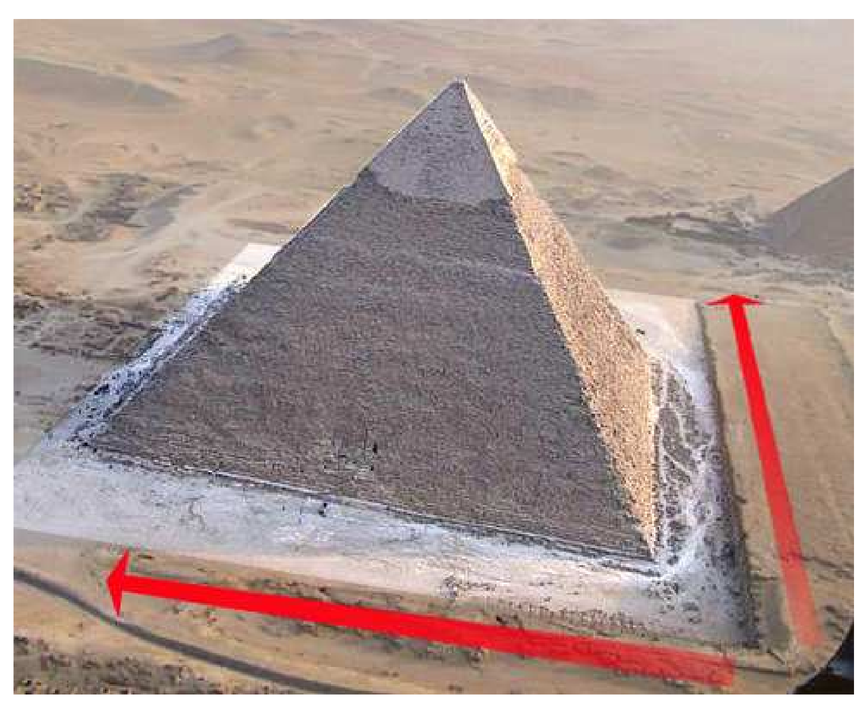
لذلك فسر ما أورده القرآن الكريم من تفاصيل عن بناء السد على أنها جميع مراحل بنـــاء الـــسد، وبالتالي أهملوا ما سكت عنه القرآن من تفاصيل بديهية، بدونها لم يكن "ذو القرنين" يتمكن من إتمام عمله، من أجل تحقيق الغرض من بناء السد، فلا يمكن أن نتخيل بناء سد بدون أساسات تحجب مـــا خلفه. وكان جديرا بمن يدرس قصة بناء السد، أن يضع في حساباته جميع المراحل العلمية لتشييد أي بناء، حتى يستطيع تحديد في أي مرحلة قام "ذو القرنين" بما قام به من عمل. لذلك اعتقد الكثيرين أن المقصود بما ذكره القرآن الكريم عن تشييد السد هو الجزء الظاهر منه فقط، وأغفلوا الجزء الأساســـي المخفي منه تحت الأرض، هذا والله اعلم.

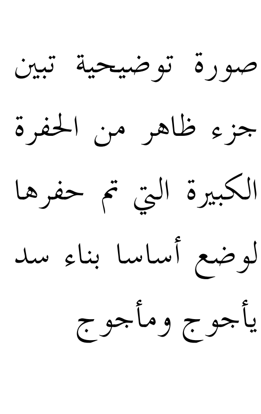
فأول خطوة من المفترض أن قام بها "ذو القرنين" هي إعداد حفرة واسعة وغاية في العمق، حيـــث بني الهرم الثاني على مساحة ٢١٥ متر مربع، وهي بالتأكيد مساحة أقل بكثير مما يفترض أن يحفـــر، لأن الأساس لابد أن يكون أكثر اتساعا من مساحة قاعدة هيكل السد، لتمكين الأساسات من تحمل ثقل القاعدة العريضة لجسم السد.

وفي واقع الأمر فإن الحفر في هضبة صخرية أمر عسير جدا، لذلك فمن الراجح أنه تمت الاستفادة من الحجارة الناتجة عن الحفر في عملية البناء فلم تهدر. وحفر الأساس بهذه الطريقة العمليـــة يحتـــاج جهدا وزمنا كبيرين، ولكن لأن الله تعالى سخر شياطين الجن لسليمان عليه السلام، فإن البشر لـــن يتكبدوا أدنى مشقة هذا العمل المضني.

وباعتبار أن أي بناء يتكون من أربعة جوانب، فكذلك السد كان له أربعة جوانب، وعليه فإن الحفرة التي ستحتوي الأساس لا بد أن تكون رباعية الشكل، تلتقي أقطارها في المركز حيث يقع باب "يأجوج ومأجوج". ويشترط أن تكون حفرة عميقة جدا بهدف الوصول إلى أعمق نقطة يمكن ردمها تحت الأرض، من أجل سد الباب عليهم وردمه بالحجارة والصخور، وإرساء قاعدة راسخة لبناء السد عليها. لذلك فإن أبعاد هذه الحفرة أطول من أبعاد قاعدة الهرم الأوسط، بمعنى أن قاعدة جسم السد الظاهرة فوق سطح الأرض أقل عرضا من الحفرة.

ومن يدقق النظر حول الجانب الشمالي والغربي للهرم الأوسط، سوف يجد جزء ظاهر من جانبي هذه الحفرة، أهمل التعامل معه بسبب ارتفاعه عن منسوب الأرض، حيث كان يجب أن تنخفض قاعدة الهرم عن هذين الجانبين بهدف استواء منسوب سطح الأرض.





صورة توضيحية تبين جزء ظاهر من الحفرة الكبيرة التي تم حفرها لوضع أساسا بناء سد يأجوج ومأجوج



يظهر خلف قاعدة الهرم الغربية جزء صخري مرتفع مما تبقى من الجانب الغربي للحفرة، ترك مهملا بسبب ارتفاعه عن منسوب الأرض.

ومن يتأمل الأرض حول قاعدة الهرم سوف يتأكد بما لا يدع مجالا للشك أن الحفر لم يتوقف عند استواء منسوب الأرض فقط، بل امتد عميقا إلى ما تحت مستوى الأرض ذات كتل الصخور الكلسية الضخمة، والمرصوفة بطبقة من صخور البازلت أو الجرانيت، ويتخلل فيما بينها شقوق تدل على حدود كل صخرة.



الأرض حول قاعدة الهرم عبارة عن صخور ضخمة متراصة بجوار بعضها البعض، لاحظ الفواصل بين الحجارة.

يبدو أن الحجارة الكلسية المرصوفة حول قاعدة الهرم، هي مما تم استخراجه من الحفرة الكبيرة، ولا يمنع أن تم إضافة حجارة من مناطق أخرى، وذلك لأن الحجارة المستخرجة من الحفرة لن تكفي لبناء جسم السد، والدليل على أنه تم إضافة صخور من مناطق أخر، أننا سنلاحظ وجود كسوة من صخور البازلت السوداء، تشكل طبقة من صف واحد تغطي الحجارة الكلسية تماما، ولكن يبدو أنها مع الزمن تم خلعها والانتفاع بها في مكان آخر، لكن يوجد بقايا يمكن مشاهدتها تثبت ما أشرنا إليه.



طبقة من صخور البازلت تم رصف الأرض بها حول قاعدة الهرم لتغطي الحجارة الكلسية التي تم وضعها في حفرة الأساس.

* * * * * *

ردم البوابة:

بعد حفر أساس السد تحت الأرض، فمن المؤكد أنه سيبلغ إلى أصول مدخل "**يأجوج ومأجوج**"، باعتباره بئر أو حفرة ممتدة تحت الأرض يعبرون من خلالها إلى سطحها، وحينها بدأ "ذو القرنين" بسد المدخل الذي يخرج منه "**يأجوج ومأجوج**"، وهذا من قوله تعالى: (**فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا**) [الكهف: ٩٥]. فسد الباب عليهم بزبر الحديد ثم صب فوقه النحاس، حتى امتلأت الحفر عن آخرها، وساواه بقاع الحفرة العميقة، فتسطح قاع الحفرة تماما، وبهذا يكون قد تم عمل الردم.

في لسان العرب: (ردم: الردم: سدك بابا كله أو ثلمة أو مدخلا أو نحو ذلك. يقال: ردم الباب والثلمة ونحوهما يردمه، بالكسر، ردما سده، وقيل: الردم أكثر من السد لأن الردم ما جعل بعضه على بعض).

مرحلة الردم هذه استعان فيها بالقوة البشرية، و لم يقتصر اعتماده في تنفيذها على استخدم شياطين الجن، لقوله: (**فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ**)، أي القوة البشرية، وطلبه المعونة منهم ليس عن عجز منه أو من شياطين الجن، إنما من الواضح أن مرحلة الردم كانت من أخطر المراحل على الإنس من قبل قوم "يأجوج ومأجوج"، فبكل تأكيد لم يسلموا من إفسادهم في الأرض من قبل، وبالتالي لن يسلموا من اعتداءهم إن هم حاولوا أن يسدوا عليهم آخر منفذ لهم إلى سطح الأرض، وعالم الإنس.

لذلك ففي هذه المرحلة، كان على "ذو القرنين" مسؤولية التفرغ لتأمين باب "يأجوج ومأجوج" ضد أي محاولة منهم للاعتداء على العاملين في ردم البوابة، حتى يستطيعوا إتمام عملهم بدون التعرض لأية مخاطر. وفي واقع الأمر أن من ذهبوا إليه يشكون إفسادهم في الأرض، لن يستطيعوا الاقتراب منهم لردم الباب عليهم ما لم يتم تأمينهم، ولو كان لهم قبل بقوم "يأجوج ومأجوج" لتكفلوا بهم ولاستغنوا عن الاستعانة به. فكان لزاما الاعتماد على رجل اختصه بالقدرة على التصدي لهم بصفتهم من جملة شياطين الجن، وكما هو معلوم وثابت بصريح النص القرآني، أن سليمان عليه السلام هو من اختصه الله بتسخير شياطين الجن له، قال تعالى: (**فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاء حَيْثُ أَصَابَ * وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاء وَغَوَّاصٍ * وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ**) [ص: ٣٦، ٣٨].

لم تكن لدى شياطين الجن، و"يأجوج ومأجوج"، القدرة على معصية أمره، وإلا تعرضوا لأشد العذاب، قال تعالى: (**وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ**) [سبأ: ١٢]. لذلك فتأمين مهمة ردم السد ضد عدوان قوم "يأجوج ومأجوج"، كان أهم دور في عملية تشييد السد، وبدون تأمين العاملين لكان بناء السد ضربا من المحال.

لاحظ أنه بعد نزول المسيح عليه السلام، سيأمره الله تعالى بتحريز عباده إلى الطور، حيث لا قبل للبشر حينها بقتال "يأجوج ومأجوج"، فمن حديث النواس بن سمعان الكلابي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**إذ أوحى الله إلى عيسى: إني قد أخرجت عبادا لي، لا يدان لأحد بقتالهم . فحرز عبادي إلى الطور**). فبالرغم من أن عيسى عليه السلام نبي مرسل، إلا أنه لم يؤتى خصوصية التصدي

لهؤلاء القوم من شياطين الجن، بل أمره ربه بالتحرز منهم. فلو كان "ذو القرنين" ملكا ونبيا فقط، لما استطاع مواجهتهم وبناء السد، ولكن لابد أنه كان ملك نبي اختصه الله بخصوصية التصدي للجـــن، وهذا ما يقطع بأن "ذي القرنين" هو نبي الله الملك سليمان عليه السلام، فلم يختص الله أحد من البشر غيره بتسخير شياطين الجن.

في دعاء جامع ضد اعتداء شياطين الجن، علمه جبريل عليه السلام لنبينا صلى الله عليـــه وســـلم، ثبت فيه نصا الاستعاذة بالله تبارك وتعالى، من شر ما ذرأ في الأرض، ومن شر ما يخرج منها، أي من شر ذرأ في الأرض من شياطين، ومن شر ما يخرج منها من شـــياطين الجـــن، أي أن بـــاطن الأرض مأهولة بشياطين الجن. فمن حديث عبد الرحمن بن حنيش التميمي، وحسنه شيخنا الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة:

جاءت الشياطين إلى رسول الله من الأودية، وتحدرت عليه من الجبال، و فيهم شيطان معه شـــعلة من نار يريد أن يحرق بها رسول الله، قال: فرعب، قال جعفر: أحسبه قال: جعل يتأخر. قال: وجاء جبريل فقال: يا محمد! قل. قال: (**ما أقول؟**) قال: قل: (**أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر، من شر ما خلق و ذرأ و برأ، ومن شر ما يترل من السماء، ومن شر ما يعرج فيها، ومن شر ما ذرأ في الأرض، ومن شر ما يخرج منها، ومن شر فتن الليل والنهار، ومن شـــر كـــل طارق إلا طارقا يطرق بخير يا رحمن!**)، فطفئت نار الشيطان، وهزمهم الله عز و جل.

فالغرض من الدعاء هنا، هو الاستعاذة بالله تبارك وتعالى من شر شياطين الجن، ثم خصص الـــنص كل طائفة من الشياطين، فمنهم من يترل من السماء، ومنهم من يعرج فيهـــا، ومنـــهم مـــن ذرأ في الأرض، ومنهم من يخرج منها. إذن يوجد من شياطين الجن من يقيمون في الأرض، ويخرجون منـــها لإيذاء الناس، وأخبرتنا النصوص عن فريق منهم وهم قوم "يأجوج ومأجوج".



جمع زبر الحديد:

من المؤكد أن "يأجوج ومأجوج" مع فرط قوتهم، لن يعجزوا عن نقب مكوناته، ولو بعد طول زمن، خاصة وأنه يتخللها فراغات وفجوات من السهل أن تضعف من تماسكها مع مرور الزمن. بدليل قول النبي صلى الله عليه وسلم (**فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج**) وعقد بيديه عشرة. فهم استطاعوا فتح الردم رغم كل ما قام به "ذو القرنين"، وهذا لا يمنع أن يتوكل على الله فيأخذ بالأسباب، ثم يفوض الأمر لله تعالى فهو كفيل بهم قال تعالى: (**قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاء وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا**) [الكهف: ٩٨].

وبسبب حسن توكل "ذو القرنين" على الله، وأخذ بالأسباب، فإن الله يعيد السد أشد ما كان كلما فتحوه، رغم أن يأجوج ومأجوج يحفرون السد كل يوم، حتى كادوا يرون شعاع الشمس، فمن حديث أبي هريرة رضي الله عنه في صحيح الجامع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**إن يأجوج ومأجوج ليحفرون السد كل يوم، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غدا، فيعيده الله أشد ما كان، حتى إذا بلغت مدقم، وأراد الله أن يبعثهم على الناس حضروا، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غدا إن شاء الله، واستثنوا، فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه، فيحفرونه ويخرجون على الناس، ...**).

لذلك كان لابد من معالجة تلك الصخور بطريقة تكسبها صلابة، وتسد ما بينها من فجوات وفراغات، ولأن الله آتى سليمان عليه السلام علما عز وجوده في زمانه، فقد أسال له عين القطر أو النحاس المذاب، وورث من علم أبيه داود عليه السلام، إلانة وتطويع الحديد، فقد كان لديه من العلم ما يستطيع به تطويع المعادن وسبكها. وسوف نتعرف كيف استفاد من هذا العلم في إحكام غلق الردم على "يأجوج ومأجوج".

أمر ذو القرنين القوم أن يأتوه بزبر الحديد، قال تعالى: (**آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ**)، وهذا يدل على أن خام الحديد لم يكن متاحا له، على خلاف القطر فقد تكفل بإفراغه و لم يطلب منهم أن يوفروه له.

وفي لسان العرب: (وزبرة الحديد: القطعة الضخمة منه، والجمع زبر. قال تعالى (**آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ**) ... الزبرة القطعة من الحديد، والجمع زبر).

وزبر الحديد المستخدمة في تأسيس السد هي عبارة عن قطع من حجارة الحديد الخام، المتوفرة بنسب ضئيلة جدا غير متحد بعناصر أخرى إلا من بعض الشوائب، إلا أن مركباته واسعة الانتشار في التربة والصخور بنسب متفاوتة، وقطع الحديد هي ما تسمى علميا باسم "الحجارة النيزكية Meteorite"، والتي كانت المصدر الرئيسي للحصول على معدن الحديد في ذاك الزمان، حيث لم يعرف بعد استخراج الحديد من المناجم.



زبـــــر الحديـــــد أو (الحجـــارة النيزكيـــة Meteorite)

استخدم المصريون الحديد النيزكي، فهم أوائل من استخدمه، حيث عثر على أدوات مصنعة منـــه ترجع إلى حوالي عام ٣٥٠٠ قبل الميلاد. وبناءا عليه لم يعرف بعد صهر الحديد وسباكته ليتم ســـحبه وتشكيله على هيئة قضبان أو كتلا ضخمة منه، إنما كانوا يجمعون تلك الحجـــارة النيزيكيـــة مـــن الصحراء حولهم.

عرف الإنسان الحديد منذ القدم، يجمع كحجارة صلبة من على سطح الأرض، حيث كانت تهبط من السماء فيما يعرف بالحديد النيزكي. لذلك تم تقديسه ويسميه معدن السماء أو معدن الآلهة، وفي نيجيريـــا على سبيل المثال عرفوا عبادة الإله أوغن Ogun إله الحديد، وهو خلاف الإله أوغـــون Ogoun إلـــه الحرب والنار لدى الهنود الحمر. ولم يعرف الإنسان الحديد مصهورا إلا عن طريق الحمم البركانية، ومـــا تخرجه البراكين من معادن مختلفة مصهورة ومختلطة منها الحديد. وعلى هذا فقد كان الحديد يحتوي علـــى قدر كبير من الشوائب، هذا بخلاف أن الحديد وحده يعد عنصر لين إن لم يسبك مع معدن آخر يكـــسبه صلابة وقوة، لذلك كان صهر الحديـــد والمعادن يحتـــاج إلى نار حامية تنقيته من الشوائب، والوصول بالنار على درجـــة حرارة عالية هو ما لم يتوفر قبل عهد داود وسليمان عليهمـــا السلام.



ومن الواضح أنه استخدم كمية هائلة من زبر الحديد، هذا إذا عرفنا أن الصدف كل شيء مرتفع عظيم كالهدف والحائط والجبل. حيث ارتفع بحجارة الحديد حتى ساوى بين جانبي قاعدة السد قال تعالى: (**حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ**)، أي ساوى بين الصدفين بحجارة الحديد. وغزارة كمية الحديد كانت تطلب ولا شك عدد غفيرا من القوة البشرية، وهذا شاهد على قوة هؤلاء القوم وغزارة عددهم حين ذاك، قال تعالى: (**فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا**)، وهذا يدل على أن المقصود بالقوة هنا هي القوة البشرية، وكناية وكثرة عدد الأفراد المشاركين في جمع زبر الحديد، وكذلك القوة المالية نظير ما يقدم من أجور لهم على عملهم هذا.

ومصدر الحديد هو الحجارة التي تكونت في الفضاء الخارجي وارتطم بسطح الكرة الأرضية ويطلق عليه اسم "الحجر النيزكي Meteorite"، وميتيورايت اسم مستمد من أصل يوناني، بينما يطلق على هذا الجسم وهو في الفضاء اسم "الجسيم النيزكي meteoroid" أو النيزك الدائر حول الشمس، وعندما يقترب من الأرض يزداد ضغط الجسم فترتفع حرارته ويسطع ضوئه، فيتحول إلى شبه كرة نارية، وهو ما يطلق عليه "الشهاب النجمي meteor"، وتم العثور على حجارة نيزكية على سطح الأرض والقمر والمريخ والمشتري.

وما يطلق عليه "الشهاب النيزكي Meteor" عبارة عن الوميض المذنب الذي نراه يسطع ليلا في السماء، نتيجة اشتعال الحجر النيزكي، أما الحجر نفسه فيسمى "الجسيم النيزكي Meteoroid" وهو جسيم صغير الحجم لا يتعدى المليمترات، ومعظمها تتبخر أو تتلاشى عندما تدخل في الغلاف الجوي قيل وصولها لسطح الأرض، وإلا ارتطمت بالأرض، وحينها يطلق عليها "الحجر النيزكي Meteorite" وغالبا ما تكون الحجارة النيزكية ضئيلة الحجم، فقد يتراوح وزن الحجر منها ما بين جرامات، ومنها ما قد يصل إلى حجم صخرة تزن مئات الكيلوجرامات.



وتقسم الأحجار النيزكية Meteorites حسب تركيبها إلى ثلاثة أقسام:

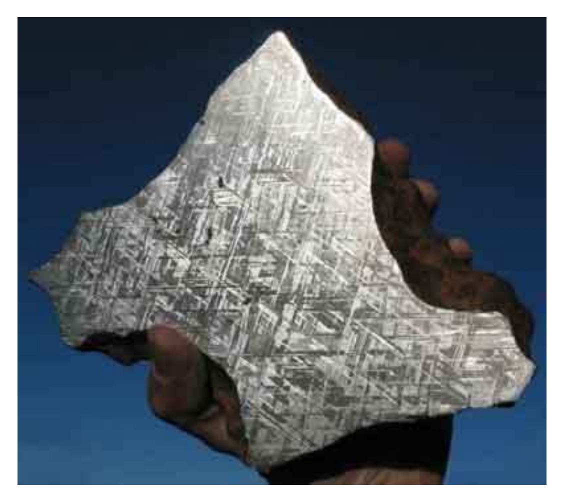
النوع الأول Stony meteorite: والتي تقسم إلى نــوعين آخــرين همــا chondrites وachondrites. معظم الأحجار النيزكية التي اكتشفت على سطح الأرض ترجع لهذا النــوع. وحوالي ٦٨٪ من الأحجار النيزكية تسقط علــى الأرض هي مــن النــوع chondrites الــتي تتصف بأنها صغيرة الحجــم ودائريــة وتحتــوي معظمها على معادن السيليكا والتي تبدو منــصهره على طريق السقوط قبل ارتطامها بالأرض.



النوع الثاني Stony-iron meteorites: وهذا النوع من الأحجار النيزكية تحتوي على معادن السيليكا وكمية كبيرة من المواد المعدنية والمواد الصخرية، أي تحتــوي على خليط من الحديد السيليكا.



النوع الثالث Iron meteorites: والتي تحتوي على المواد المعدنية وحديد النيكل. وفقــط ٦٪ من الجسيمات النيزكية من النوع الحديدي.



وعلى هذا فالحديد معدن يترل من السماء على هيئة نيازك حجرية، فهو معدن من خارج نطاق الكرة الأرضية،قال تعالى: ﴿**وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ**﴾ [الحديــد: ٢٥]. وهكذا تعرفنا على أنواع زبر الحديد وأشكالها المختلفة، حتى نتصور ما قام أهل (صعيد مصر وادي النيل) بجمعه من زبر الحديــد، فهم من ساهموا بقوتهم البشرية في بناء السد، فإن كان البناء تم بإشراف نبي الله سليمان عليه السلام، فــلا حق لليهود اليوم أن ينسبوا لأنفسهم فضل العمل في بناء السد، بل المصريين هم من أسهموا في بناءه.

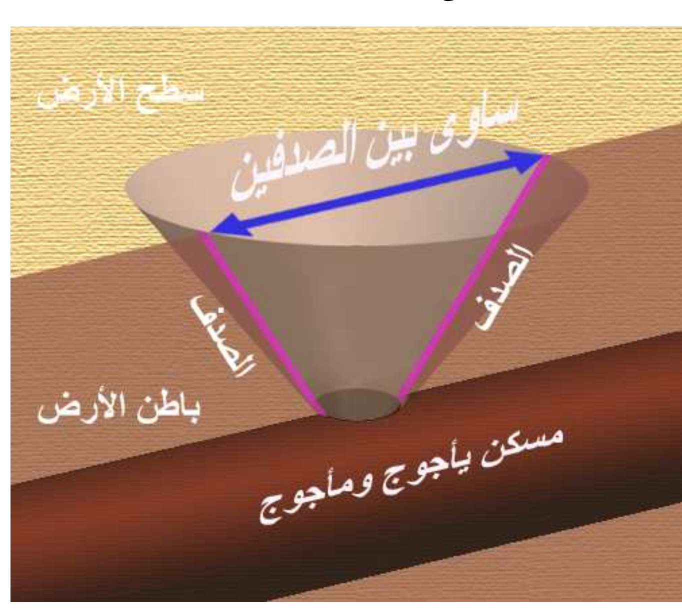
التسوية بين الصدفين:

ولأن الردم يتكون من حجارة الحديد، فمن المتيسر على "يأجوج ومأجوج" نقب هذا الحجـــارة وتفتيتها، ليتيسر خروجهم من تحت الردم إلى سطح الأرض. لذلك استمر في ردم الحفرة عن آخرها بزبر الحديد حتى ساواها بسطح الأرض، قال تعالى **﴿حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الـــصَّدَفَيْنِ﴾** [الكهـف: ٩٦]. و**﴿الصَّدَفَيْنِ﴾** هما جانبي الحفرة.

في لسان العرب: (الأصمعي: الصدف كل شيء مرتفع عظيم كالهدف والحائط والجبل. والصدف والصدفة: الجانب والناحية. والصدف والصُّدف: منقطع الجبل المرتفع. ابن سيده: والصدف جانـــب الجبل، وقيل الصدف ما بين الجبلين، والصُّدف لغة فيه؛ عن كراع).

فذكر الله تبارك وتعالى صدفين، أي جانبين فقط، ولم يذكر الصدفين الآخرين، لأنـــه بداهـــة أي حفرة سواء كانت رباعية أو دائرية، لابد له من أربعة جوانب، فإن ذكر جـــانبين يقتـــضي وجـــود جوانب أخرى. فإذا ساوى بين صدفين من أي جهة، شمالية وجنوبية، أو شرقية وغربيـــة، فـــسوف يستوي ما بين الصدفين الآخرين تلقائيا، وعليه فلا حاجة لذكر الصدفين الآخرين في الآية، وهذا من بلاغة القرآن الكريم.

ولا يصح حمل الصدفين على أنهما جانبي الجبلين، لأن لفظ السدين لا يفيد وجود جبلين، إنما يفيد حسب القراءتين بضم السين وفتحها أنهما حاجزان د أشبه بالجبل، وقد تقدم بيـــان هـــذا مفـــصلا. خاصة وأن معنى الردم يفيد سد الحفرة أو الثلمة، والثلمة حسب لسان العرب هي (الخلل في الحـــائط وغيره) وهذا يسري على الحفرة في الأرض. وعليه فالردم لا يصح أن يقام بين جـــانبي جـــبلين، لأن جانبي الردم من أمامه وخلفه لا يستندان إلى جدارين، ولم يرد في الآيات ذكر لبناء جدارين، وحـــتى الصدفين الوارد ذكرهما لم يذكر أنه قام بتشييدهما، مما دل على وجدهما مسبقا.

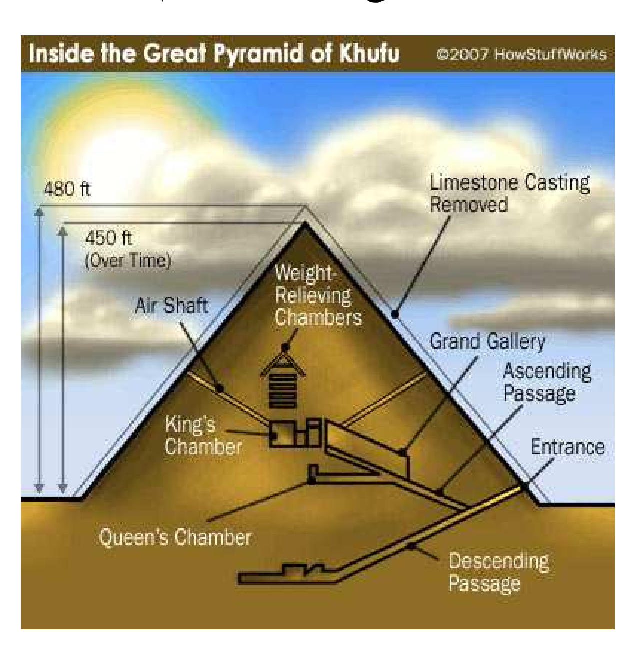


بينما الحفرة مخروطية الشكل يقل قطاعها كلما نزلنا إلى أسفل، بحيـــث يساعد ميل جوانبها وانحدارها علـــى صعود "يأجوج ومأجوج" ونـــزولهم في الحفرة، لتنتهي بفتحة ضيقة تحت الأرض تطل علـــى قـــوم "يـــأجوج ومأجوج". فلا يوجد حول الحفـــرة خلل أو فراغ، لأن حوافها تحجز زبر الحديد من جميع جوانبها، حتى ساواه بجميع جوانبها فسدت الحفرة تماما.



النفخ:

بعد إعداد زبر الحديد، (**قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا**) [الكهف: ٩٦]، أي جعله متأججا، فلم يصل به إلى حد الانصهار، حيث أمرهم بالنفخ فقال: (**انفُخُوا**)، بينما تولى هو (**جَعَلَهُ نَارًا**)، مما يعني أنه قام بجزء من مهمة إشعال الحديد نارا، وإشعال الحديد لا يقتصر على النفخ فقط، فكان لابد من توفير وقود، بالإضافة إلى أن تأجيج مساحة شاسعة وكمية هائلة من زبر الحديد تحتاج إلى بناء فرن ضخم جدا، وأن يكون ذو فتحات تهوية تسمح بتمرير الهواء إلى داخل هذا الفرن، من أجل تسعير جذوة النار. وربما أن فتحات التهوية المتواجدة في الهرم كان هي الفتحات وظيفتها تمرير الهواء المنفوخ، مما يعني أن الهرم كان عبارة عن فرن كبير، وفي قاعه تحت القاعدة تماما تكمن طبقة من زبر الحديد والنحاس. فمن المؤكد أن "ذي القرنين" علمهم طريقة خاصة في النفخ لم يرد ذكرها في النص، لكن بلا أدنى شك أنهم لجئوا إلى طريقة مبتكرة للنفخ تم تطويرها حتى وصلنا إلى شكل المنفاخ التقليدي اليوم.



(وكان الحديد لأجيال طويلة نادرا لدرجة أنه كان يعتبر أغلى من الذهب، وكانت مهنة الحدادة من أشرف المهن في العصور القديمة والوسطى، فقد كانت مهنة نبي الله داود عليه السلام... وبغية تنقية الحديد من الشوائب، فقد اخترع الفرن النفاخ، حيث يكون هذا الفرن كبير الحجم، يبلغ ارتفاعه نحوا من ثلاثة وثلاثين قدما وقطره حوالي ثمانية أمتار، ويبطن من الداخل بآجر ناري ذي مزايا خاصة... توجد بمصر، طبيعيا، مجموعة متنوعة من خامات المعادن؛ وكان معدن النحاس هو الأكثر استخداما في مصر القديمة. وعرف الحديد النيزكي أولا، ولكنه لم يكن يستخرج من المناجم أو يستغل عامة؛ حتى العصر البطلمي).

(وللوصول إلى درجة حرارة عالية كافية لاستخلاص المعادن من خاماتها الطبيعية، فإن قدماء المصريين بنوا مواقد خاصة كانت تحمى بالفحم. وكانت المعادن تصهر، لتنقى، في بوتقة فوق النار. وكان العمال، في عصر الدولة القديمة، ينفخون في النار بمنافخ؛ للوصول إلى درجة حرارة انصهار المعدن، وكان ذلك يتطلب عددا من العمال الذين يتناوبون على النفخ. وطورت منافخ الكير الكبرى في الدولة الحديثة؛ وكانت تتكون من طبق فخاري قليل العمق مغطى بالجلد. وعندما كان المعدن يستخلص، فإنه عادة ما يعد على هيئة كتل؛ ثم يرقق باستخدام مطرقة حجرية بيضاوية).

* * * * * *

صب النحاس المذاب:

كان يجب أن يتوافر في هذا الردم مواصفات خاصة، وغاية في الأهمية، بهدف أن يعجز يـأجوج ومأجوج عن ارتقاء ظهر الردم، وأن يعجزوا عن نقب ما يحويه من صخور صلدة، قال تعالى: (**فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا**) [الكهف: ٩٧].

في لسان العرب: (يقال: ظهر على الحائط وعلى السطح صار فوقه. وظهر على الشيء إذا غلبه وعلاه. ويقال: ظهر فلان على الجبل إذا علاه. وظهر السطح ظهورا: علاه).

فقوله تعالى (**اسْطَاعُوا**) يوحي بالسهولة واليسر لكي (**يَظْهَرُوهُ**)، بينما استخدم قوله (**اسْتَطَاعُوا**) توحي بالصعوبة والعسر مع قوله (**نَقْبًا**)، لأن عجزهم عن أن يظهروا الردم مترتب على عجزهم عن نقبه، فإن تعسر عليهم النقب تعسر بالتالي أن يظهروه، فأن ينقبوا الردم أشد صعوبة من أن يعتلوا ظهره.

تولى "ذو القرنين" بنفسه إفراغ النحاس المذاب فوق زبر الحديد المتأججة نارا، قال تعالى: (**قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا**) [الكهف: ٩٦]، وقد اختص الله تعالى سليمان عليه السلام بأن أسال له عين القطر، قال تعالى: (**وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ**) [سبأ: ١٢]، وهذا يدعم القول بأن "ذي القرنين" هو كنية أو لقب لنبي الله "سليمان" عليه السلام.

ينصهر الحديد عند درجة حرارة (١٥٣٥ْ) مئوية، ويغلي عند درجة حرارة (٢٧٥٠ْ) مئوية. بينما ينصهر النحاس عند درجة حرارة حوالي (١٠٨٣ْ) مئوية، ويغلي عند درجة حرارة (٢٥٦٧ْ) مئوية. فالوصول بالنحاس إلى درجة الغليان يحتاج إلى أفران خاصة، وهذا يحتاج تقنية لم يكن من الهين توفيرها في تلك العصور، حيث كانت تصاغ المعادن بالطرق، فلم تعرف سباكة المعادن بعد. لذلك من المؤكد أن هذا تم بعلم من الله تعالى لنبيه سليمان عليه السلام. فقوله (**أُفْرِغْ**) يفيد أن النحاس وصل إلى مرحلة الغليان، وتحول إلى سائل يمكن صبه.

ففي لسان العرب: (والإفراغ: الصب. وفرغ عليه الماء وأفرغه: صبه... وافرغ الذهب والفضة وغيرهما من الجواهر الذائبة: صبها في قالب).

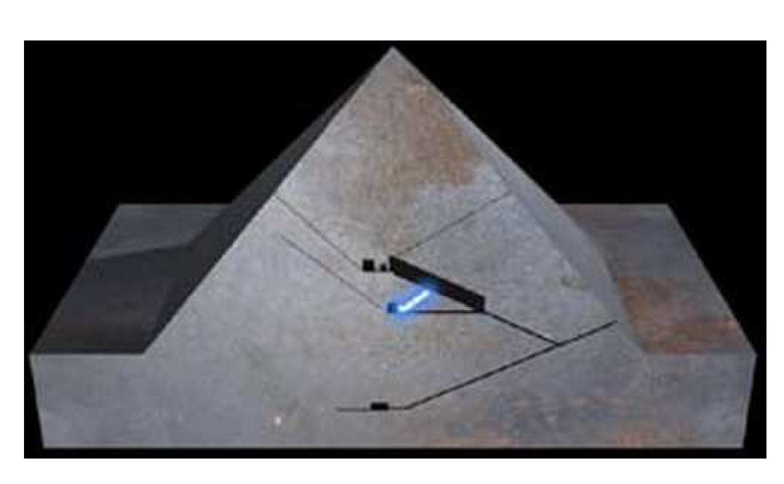
سيبرد الحديد قبل أن يبرد النحاس، لأن انصهار الحديد يتطلب درجة حرارة أعلى من النحاس، وبالتالي سيستمر النحاس مذابا أطول فترة ممكنة، وبهذه الطريقة لن يسمح الحديد المستعر ببقاء النحاس المذاب ثابتا أعلاه، بل سينساب بسبب الجاذبية الأرضية إلى طبقة الردم، فيتخلل الفراغات فيما بين الحجارة والصخور، ليملئ ما بينها من خلل، مما يؤدي إلى تماسكها فيما بينها.

هذا بخلاف تلاحم الحديد المنصهر مع النحاس المغلي ينتج عنه سبيكة (برونزية) تزيد من صلابة الردم ضد أي محاولة من "يأجوج ومأجوج" لنقب الردم، وتضاعف من قدرته على التحمل لأطول فترة زمنية ممكن. حيث أن النحاس يستخدم للحام الحديد، ويكسبه قوة أكثر. وفي هذا يذكر البيروني في كتابه "الجماهر في معرفة الجواهر" (لما كان النحاس لحام الحديد قال ذو القرنين "آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارا قال ائتوني أفرغ عليه قطرا).

اكتشاف نحاس وبرونز داخل الهرم الأكبر:

حقيقة لا معلومات لدي إن كان قد تم الكشف عن وجود مصادر معدنية تحت أساسات الهرم، ولكن ثبت وجود مقبضين من النحاس داخل الهرم الأكبر خوفو، وتم العثور على قطعة نحاس صغيرة، ومخلب نحاسي، وهذا يجزم بأن النحاس كان مستخدما حين بناء السد، وهذا يتفق مع ما ذكر في كتاب الله تعالى عن استخدام النحاس المذاب، وهذا يدل على توافق زمني بين بناء الأهرامات وبين زمن سليمان عليه السلام. وهذا بشهادة الدكتور زاهي حواس حيث في كتابه (معجزة الهرم الأكبر) يقول: (وبدأ العمل في ٦ مارس عام ١٩٩٣م، ودخل الإنسان الآليفي رحلته الثانية إلى الهرم وكشف لنا عن مفاجآت عديدة وألغاز لم نستطع حلها إلى الآن. وأولى هذه المفاجآت، ظهرت في الفتحة الشمالية، ... وقد عثر داخل هذه الفتحة على مخلب نحاسي وقطعة أخرى من النحاس على شكل كسرة، ... وكانت المغامرة الأخيرة لـ (واب ووت ٢ Wp Wawt 2) داخل الفتحة الجنوبية لحجرة الملكة ... واستطاع "جانتنبرنك" أن يجعل الإنسان الآلي يقفز فوق هذه الأماكن حتى وصل إلى حوالي ٦٤,٦٠ مترا داخل الهرم ووقف أمام قطعة صغيرة من النحاس ملقاة على أرضية الممر وخلفها كانت المفاجأة الكبرى وهي وجود حجر صغير ذي مقبضين من النحاس وهذا ما أطليق عليه "الباب السري داخل الهرم". صفحة (٨٣، ٨٤).

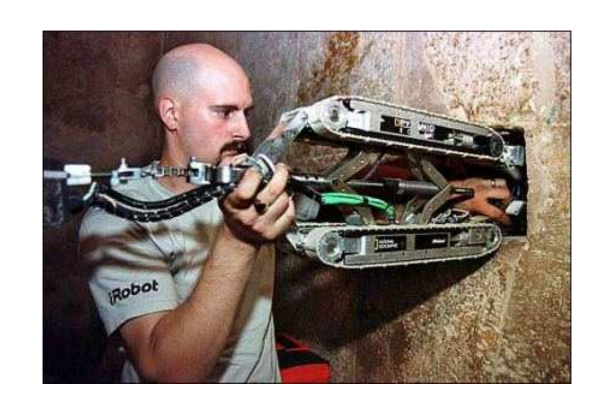
(وواصل الإنسان الآلي السير داخل الفتحة وأنا أجلس أمام الشاشة أتابعه لحظة بلحظة حتى وقف على بعد ٨ أقدام من الباب المعروف وشاهدنا القطعة النحاسية والتي يزيد طولها على ٣سم تقريبا وواصل السير حتى وقف أمام الباب وهنا شاهدت الباب جيدا حيث لاحظت أن المقبض الشمال يفقد منه حوالي ٣سم أي أن القطعة التي عثر عليها أمام الباب كانت أصلا مثبتة على الباب..) صفحة (٨٩، ٩٠)



موضع البحث داخل الهرم

وفي محاولة أخرى يقول: (وظل يسير الإنسان الآلي .. ولكن كانت المفاجأة كانت وقوفه أمام باب آخر ذي مقبضين من النحاس يتشابه تماما مع الباب الذي عثر عليه داخل الفتحة الجنوبية.ولكن الجديد هنا هو وجود حبال عثر عليها حول أحد المقابض النحاسية بالباب الجديد). صفحة (٩٤)

بما أنه تم العثور على قطع نحاسية داخل الهرم، فإذا كان ذو القرنين قد استخدم النحاس المذاب، فإنه من الطبيعي العثور على أي قطعة معدنية تدل على وجود سبائك يدخل النحاس كعنصر أساسي في تركيبها، لأنه قام بسبك زبر الحديد مع النحاس، وهي تحوي الحديد وغيره من المعادن والشوائب فهي ليست حديدا صافيا، لذلك فإن العثور على قطعة معدنية مثل البرونز يدعم إلى حد ما هذا البحث، والبرونز هو اسم يطلق على طائفة من سبائك النحاس المعدنية. وتتكون عادة من النحاس والزنك والقصدير، ولكنها ليست بالضرورة مقصورة على هذه العناصر. وبالفعل تم العثور على خطاف معدني من البرونز.


iRobot

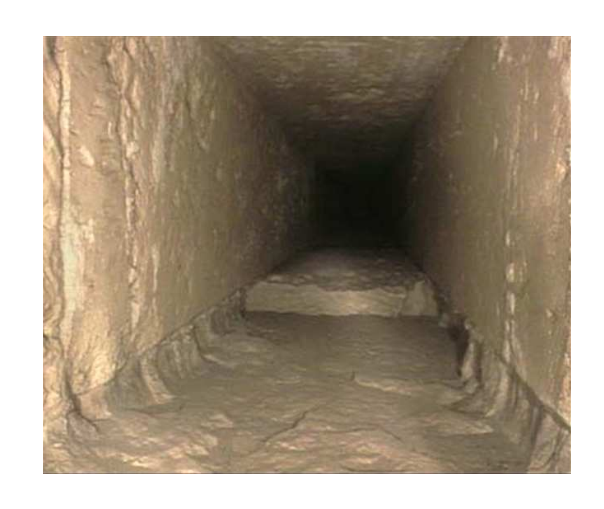


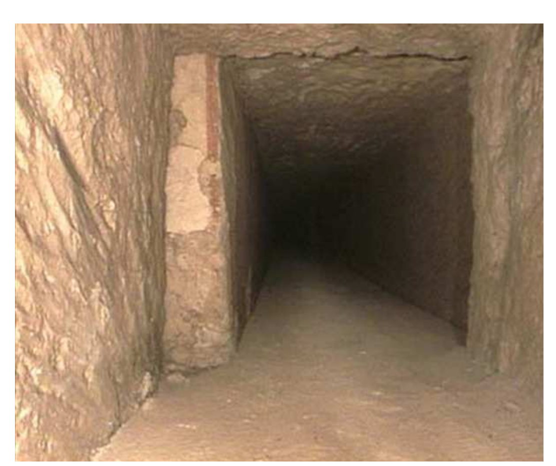




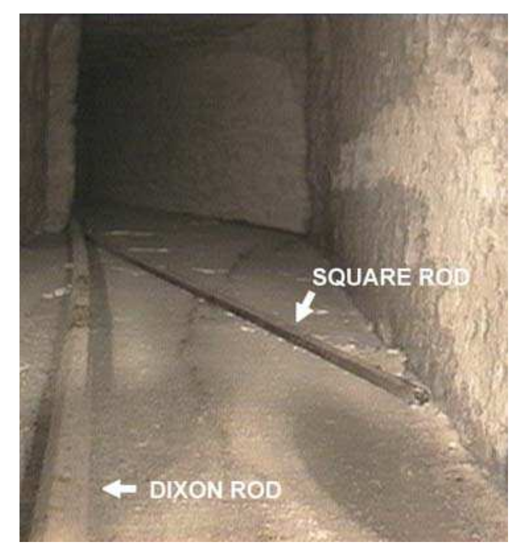













صور توضح مراحل استخدام الإنسان الآلي، والصور توضح الموضع الذي تم فيه العثور على الخطاف البرونزي داخل النفق

وبالفعل تم العثور داخل الهرم الأكبر على قطعة معدنية من البرونز المطروق على هيئة خطاف، وهذا يثبت استخدام هذا المعدن في زمن بناء الأهرامات، (في الممر الجنوبي وجد ديكسن Dixon وشريكه جيمس جرانت James Grant خطاف برونزي صغير. كرة صوان قطعة من الخشب تشبه خشب الأرز. أصبحوا يعرفون بآثار ديكسن. كلتا المجموعات المصنوعة يدويا ملقاة بين الأنقاض في أسفل الممر المنحدر. أخذت الآثار إلى إنجلترا، تم تسجيلها من قبل الفلكي رويال سكوتلاند Royal Scotland وعادت إلى ديكسن بعدما اختفوا. تم عمل تقرير اكتشاف الآثار في "Nature" ٢٦ ديسمبر ١٨٧٢ متضمنة رسما للمواد. أدى البحث في سنة ١٩٩٣ إلى اكتشاف الكرة والخطاف في المتحف البريطاني، حيث ما زالوا إلى اليوم).

الإشكال هنا أن هذه القطع تم العثور عليها داخل الهرم الأكبر المسمى هرم خوفو، وليس داخل الهرم الثاني المسمى هرم خفرع، خاصة وأن الهرم الأكبر حاز على اهتمام الأثريين أكثر من غيره، فهذه القرائن لا تثبت ما نحن بصدده من بناء سليمان للأهرامات بصفته هو نفسه ذو القرنين، وأن الهرم هو سد يأجوج ومأجوج، لكنها تثبت أن سليمان هو نفسه من قام ببناء سائر الأهرامات لهدف واحد وهو سد جميع مخارج يأجوج ومأجوج.

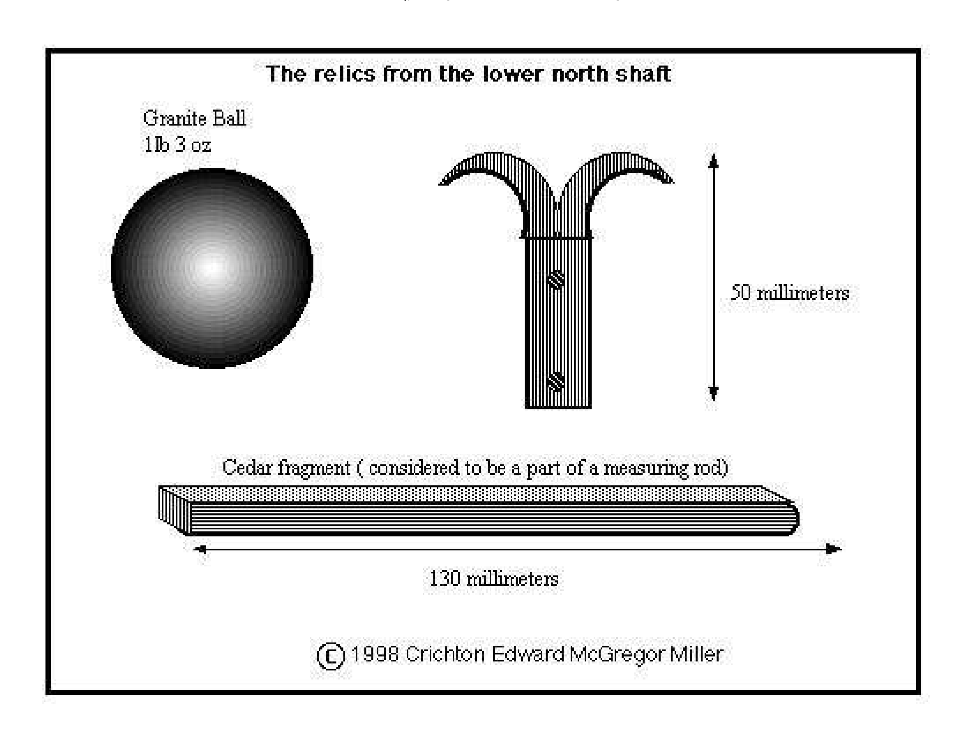


الكرة الحجرية والخطاف البرونزي المعثور عليهم داخل الهرم الأكبر





صور الخطاف البرونزي





المرحلة الثانية:

هي مرحلة وضع الأساس لبناء جسم السد، ويتم رص الحجارة فوق الردم حتى تستوي الحجارة مع مستوى سطح الأرض. وضع الأساسات هو أهم خطوة في الإعداد لبناء أي مبنى في العالم، ورفع القواعد هو أول خطوة قام بها إبراهيم عليه السلام حين بناءه للكعبة، فأهمية بناء القواعد لأي بناء أصل هندسي ثابت في كتاب الله العظيم، قال تعالى: (**وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ**) [البقرة: ١٢٧].

وإن تصور وجود هذا السد الهرمي بدون هذه الأساس الهائل من الصخور الضخمة يكاد يكون ضربا من المحال، وإلا فلن يستمر طوال هذه السنين راسخا في مكانه. فبناء ضخم كهذا، لا تكمن معضلته في مجرد رص حجارة فوق سطح الأرض، ولكن المعضلة الأكبر والتي غابت عن ذهن الكثيرين، هي كيفية ترسيخ أساسته تحت الأرض لتخدم الهدف من بناءه. فما فات على كبار علماء عصرنا دراسته، هو ما ركز عليه القرآن الكريم من كلام "ذي القرنين"، حين فصل خطوات وضع أساسات السد، فمن الواضح أن "ذي القرنين" وهو نفسه نبي الله "سليمان" عليه السلام كان بالغ العبقرية في فنون الهندسة والإنشاء المعماري، ولا ننسى ذكر فضل ملأه من علماء الجن المسلمين.

وضع الأساس:

لكي يكتسب جسم السد صفة الرسوخ والثبات، فلابد من وضع أساس بثقل لكي يرتكز عليها جسم السد الهرمي حتى لا تميد به الأرض فينهار بما يحمله من حجارة. لذلك لابد من بناء جوانب الأساس في وضع رأسي، وغير مائل. لتغطية سطح الردم بطبقة ضخمة من الصخور تحميها من التعرض لعوامل الأكسدة، ليرتفع الأساس حتى يستوي بسطح الأرض تماما، على أن تكون محيط الأساس أطول من محيط قاعدة جسم السد. بحيث تحيط بقاعدة جسم السد مسطبة عريضة من الصخور الضخمة، لذلك نجد قاعدة الأهرامات الثلاثة محاطة بمسطبة عريضة مرصوفة بالحجارة الضخمة ومكسوة بطبقة من الحجارة البازلتية السوداء لحمايتها من عوامل التعرية.




صور توضح معالم الأساس للهرم، ويتكون من صخور ضخمة حول قاعدة جدار الهرم الأكبر



* * * * * *

المرحلة الثالثة:

تنقسم المرحلة الثالثة إلى عدة خطوات، كبناء جسم السد وكسوته بالحجارة الكلسية، وكسوة جوانب قاعدته بالحجارة الجرانيتية. لكن كما سبق وبينت فمن المحتمل أن السد بأكمله تم بناءه كفرن واستخدمت فتحات التهوية للنفخ على الردم، لكن للأسف أن البحث الأثري غير متكامل.

بناء جسم السد:

وجسم السد هو الجزء الهرمي الظاهر منه اليوم فوق سطح الأرض، ويتكون من طبقات فوق بعضها البعض من الحجارة الضخمة المتراصة بإحكام، يقل مساحة قطاعها كلما ارتفعنا إلى قمة السد المدببة. لكي يستمر أي بناء متماسكا لأطول زمن ممكن، لابد أن يقل قطاعه كلما ارتفع، وبما أن قاعدته رباعية الجوانب، فحتما سينقص تدريجيا كلما وصلنا إلى قمته، لينتج بناء ذو شكل هرمي، وبهذا الشكل ظهرت الأهرام بشكلها المشاهد اليوم. وإن شيد البناء بحيث يستاوي محيط قطاع قاعدته مع محيط قطاع قمته، فيسنتج شكل مكعب أو متوازي مستطيلات، وهذا معرض للانهيار تحت أي ظروف خارجية بمرور الزمن، لذلك فالراجح هو أن جسم السد ذو شكل هرمي.



صورة نادرة لقمة الهرم الثاني لاحظ الجزء المتبقي من كسوة الهرم من الحجارة الكلسية

إن دور البشر في تشييد السد توقف عند حدود أثبتها القرآن الكريم، وهي ردم بوابة "يأجوج ومأجوج" بزبر الحديد، والنفخ في النار. أما رفع الحجارة العملاقة التي تزن الأطنان العديد، فهذا ولا شك لا قبل للبشر به مطلقا، وقد ثبت نصا أن الله تعالى سخر شياطين الجن لسليمان عليه السلام يبنون له ما يشاء من مشديات يعجز عنها البشر وتليق بقدرات الجن، قال تعالى: **(فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاء حَيْثُ أَصَابَ * وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاء وَغَوَّاصٍ)** [ص: ٣٦ ٣٧]. وعليه فإن الجن بنوا ما عجز البشر عن بناءه، لتكون الأهرامات شاهدا على تسخير الجن لسليمان عليه السلام.



بناء الكسوة خارجية:

في آخر خطوة في بناء السد تم كسوة جسم السد بالحجارة الكلسية الملساء ناصعة البياض على سطح جوانبه الخارجية، ولكنها تساقطت مع مرور الزمن، فلم يبقى منها إلا جزء يسير وهو ما نشاهده اليوم في قمة الهرم الثاني، بينما يوجد حزام من الكسوة الجرانيتية حول قاعدة الهرم. أما الجزء الظاهرة من أساس الهرم، والظاهر على سطح الأرض حول قاعدة الهرم، فتم رصفه بطبقة واحدة من الحجارة البازلتية السوداء.



ما تبقى من كسوة الهرم الأوسط عن قمته

والفائدة من هذه الكسوة بخلاف أنها وظيفة تجميلية، إلا أنها تحمي جسم السد من تـأثيرات الجـو، وعوامل التعرية، من أمطار وعواصف رملية، أما الحزام المحيط بقاعدة السد فوظيفته حماية قاعدة السد وتحمل ثقل الكسوة الكلسية الخارجية للسد، وإلا ستنهار الكسوة إن لم تبنى على قاعدة أشد صلابة من جسم السد، لذلك تم بناء الحزام من الحجارة الجرانيتية الصلبة.



جزء من حزام الكسوة الجرانيتية حول قاعدة الهرم الثالث

على ما يبدو أن الكسوة تم بناؤها متفاوتة في السماكة تقل تدريجيا من أسفل السد، وكلما اتجهنا إلى أعلى، بحيث تكون الحجارة عند القاعد جرانيتية ضخمة الحجم، ثم بني فوقها الحجـارة كلسية خفيفة الوزن تتصاغر في الحجم كلما ارتفعنا إلى قمة الهرم، لذلك لا نجد من سقط من الكسوة سوى كتل جرانيتية قليلة متناثرة حول قاعد الهرم، بينما غالبية الحجارة كلسية. ونلاحظ وجـود الحـزام الجرانيتي بوضوح أسفل قاعدة الأهرامات الثلاثة، وتظهر بجلاء أكثر حول قاعدة الهرم الثالث.

والدليل على أن الهرم مجرد سد وليس مقبرة حسب مفاهيم الأثريين، أن الأهرامات ليس لها أبواب مطلقا إنما لها فتحات تهوية فقط قد تكون استخدمت للنفخ في بر الحديد. إنمـا تم نقـب جـدران الأهرامات عنوة، من أجل عمل فتحات وثغور مصطنعة للدخول إليها. مما يجزم بأن الأهرامات ليس لها وظيفة تقليدية كمقبرة أو رمز ديني، .

وفي القرن التاسع العشر قام الأثريون بنقب فتحات خاصة من أجل اقتحام الهرم (بـدأ جيوفـاني بيلزوني Giovanni Belzoni عملياته في هرم خفرع Chephren في العاشر مـن فبرايـر ١٨١٨ على الجانب الشمالي، مستخدما العديد من العمال في الحفر خلال الأحجار والقمامة. حيث باء عمل طاقمه لعدة أيام بالفشل، لكنه استمر وفي السابع عشر وجدَ المدخل الإلزامي).

لاحظ في اللوحة أن مدخل الهرم الثاني حين قام عمال جيوفاني بيلزوني بنقب جدار الهرم لعمل فتحة للدخول لأول مرة، كانت أحجاره سميكة جدا، حيث لم يقتحم أحد من قبل هذا الهرم، واحتفظ في داخله بجفنة الماء كما هي بدون نقوش عليها، كما سبق وبينته مفصلا.

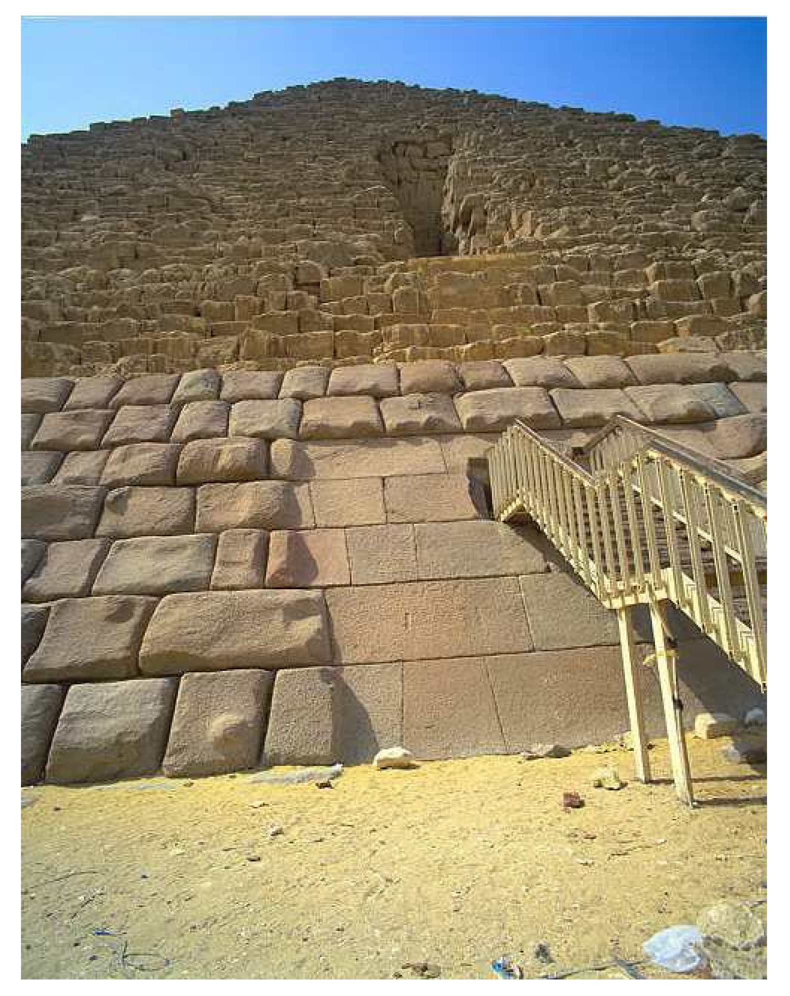
وبعد الانتهاء من بناء الكسوة الخارجية للسد، تم كسوة الأساس الحجري بطبقة من الحجارة البازلتية السوداء بهدف حماية الأساس من عوامل التعرية، واحتكاك الأقدام من حول السد. وهذه الكسوة عبارة عن صف واحد من الحجارة البازلتية السوداء شديدة الصلابة، ولا زلنا نجد أجزاء متفرقة منها موجودة حتى اليوم.



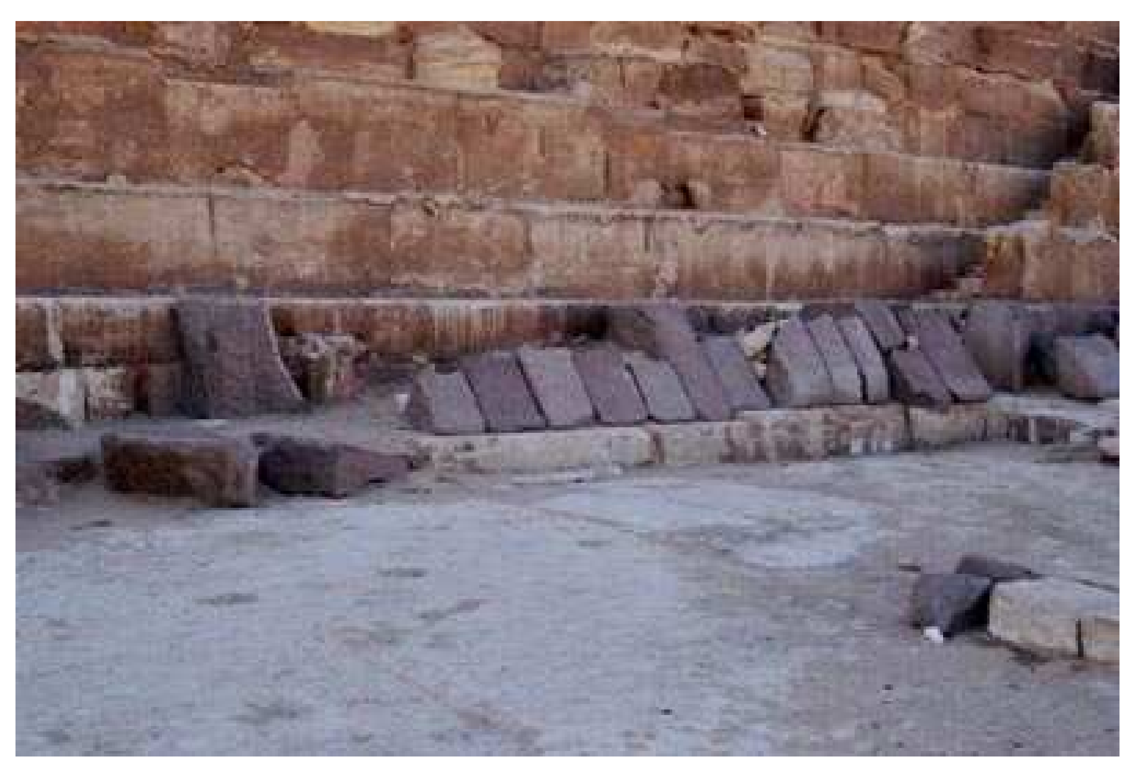
كسوة من الحجارة البازلتية رصفت بها حجارة الأساس حول الهرم



الجزء المتبقي من الكسوة الحجرية التي كانت تكسو الهرم الأوسط.



أنظر ما تبقى من الكسوة الجرانيتية أسفل الهرم الثالث، والهدف منها حماية قاعدة الهرم من التآكل ومن عوامل التعرية



أنظر الكتل الحجرية الداكنة المتراصة أسفل الهرم الأكبر، هي آخر ما تبقى من كسوته الجرانيتية.

لاحظ الكتل الحجرية في الأرض هي الجزء الظاهر من أساس الهرم.

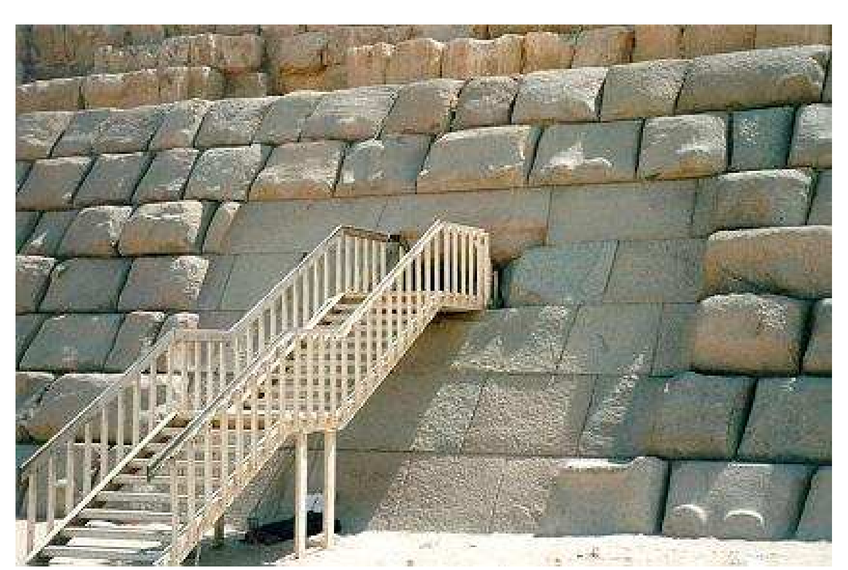


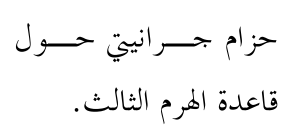
كسوة السد المسمى هرم زوسر كما نراها مستوية تماما، فتآكلت قاعدتها وقمتها، وتم تدارك هـذا العيب في الأهرامات الـثلاث، حيـث أن القاعـدة جرانيتيـة ضخمة وتتـدرج إلى كلـسية خيفة.





قاعدة هرم أوناس بمنطقة سقارة. لاحظ الكسوة الكلسية الخارجة والشريط المرصوف من الحجارة حول القاعدة.





حزام جرانيتي حول قاعدة الهرم الثالث.



نقد المفهوم الدارج عن بناء السد:

أما ما يتخيله الكثيرون من أن السد تم بناؤه بين جبلين، فهذا خطأ فادح في فهم النصوص ويتعارض مع طريقة البناء الصحيحة، ولا يتفق وأصول الهندسة المعمارية، ويحتاج إلى إعادة تفكير جذري في فهمنا لدلالات النص القرآني، وبطريقة تتفق مع الواقع والممكن، فلا نتخيل أمورا لا يمكن أن تتحقق في الواقع، وألخص نقدي لهذا المفهوم فيما يلي:

ــ لأن أساساته تحت الأرض ستكون أضيق من قمته التي تتسع كلما اقتربنا من قمة الجبلين! وهذا يشكل ضغطا كبيرا على القاعدة من الجانبين المكشوفين من السد، مما يؤدي لتصدع القاعدة الضيقة وانهيار السد.

أضف إلى هذا تأثير عوامل التعرية من أمطار وسيول والتي ستتسبب في حدوث انهيارات صخرية على جوانب الجبلين الملاصقة لجانبي السد، مما سيتسبب في حدوث فالق وفجوة بين السد والجبلين، ونتيجة ثقل قمته العريضة على قاعدته الضيقة فسوف تنهار جوانبه سريعا.

ــ وكذلك من المستحيل أن ذي القرنين قد صب الحديد والنحاس على السطح الخارجي للسد، لأن عوامل التعرية من أمطار ورطوبة وحرارة ستؤدي إلى أكسدة وصدأ الكسوة الخارجية للسد وتتساقط، وسيكون لون صدأ النحاس فيروزي، ولون صدأ الحديد بني مائل للحمرة.

ــ أما زبر الحديد أي حجارة الحديد، وتعرف علميا باسم (الحجارة النيزكية)، هي حجارة صغيرة الحجم تحتوي على عنصر الحديد وعناصر أخرى، لذلك لابد من معالجته بالنار حتى يتخلص الحجر من الشوائب الأخرى. فزبر الحديد ليست قضبانا ولا قوالب حديدية، كبديل عن القوالب الحجرية، وبالتالي لا يمكن أن يبنى بها جدران السد، فلم تسبك المعادن في ذاك الزمان بعد. هذا بخلاف قلة تواجد الحجارة النيزيكية في الطبيعة، فمن الممكن أن يستخدم طبقة محدودة من هذه الحجارة، لكن من المستحيل مهما كانت ثروة البلاد الطبيعية أن يتوفر لديها كمية كبيرة من هذه الحجارة لبناء سد ضخم قائم بين جبلين شاهقين، فهذا أمر خيالي يصعب تحقيقه.

ــ هذا بخلاف معضلة كبرى لم يلتفت إليها من تخيلوا السد مستند إلى جبلين من جانبيه الأيمن والأيسر، أما الجانب الأمامي منه فهو ما يراه من يقف أمام السد، بينما الجانب الخلفي للسد مكشوف لمن وقف خلفه، مما يعني أن السد لا يسد شيئا خلفه، وهذا ينسف سبب بناء السد، وبالتالي فالشكل العام للسد يجب أن يتم حسب ما ذكرته في البحث.

ــ الفكرة السائدة عن بناء السد مصدرها الإسرائيليات، وتخيل البعض ممن لا دراية لهم بأصول الإنشاء والهندسة المعمارية، فجاء تصورهم مخالف لهذه الأصول، وازداد الناس تمسكا بها بسبب تعلقهم بكلام أهل العلم وإن لم يستندوا في أقولهم إلى أدلة شرعية أو عقلية، وهذا وئد لنعمة العقل، وإسقاط لفريضة تدبر القرآن، بسبب البحث عن تفسيرات سابقة الإعداد بدن نقد وتحليل.

فالسد بهذا الشكل المتخيل يفتقد لأبسط أصول الهندسة المعمارية المتعارف عليها. إذا فالصحيح هو أن السد يغلق فتحة فوق سطح الأرض، ولا يسد شيئا يقع خلفه، وعليه فالبناء لابد أن يكون حصينا عنـــد قاعته أشد ما يكون التحصين، حتى لا يستطيع "يأجوج ومأجوج" أن يعلوا ظهره أو ينقبوه.

وكل هذا البناء الضخم يحتاج إلى علم وقوة لم تكن متاحة لا في ذاك الزمان الموغل في القـــدم، ولا في زماننا المعاصر، رغم ما وصلنا إليه من طفرة علمية وتقنية المفترض أنها أعلى ما وصلت إليه البشرية حـــتى اليوم، ورغم ذلك عجزنا عن تحريك حجر يزن عدة أطنان من مكانه، فكيف برفعه على إلى قمـــة بنـــاء شاهق مثل الأهرامات؟!

قد يقول البعض أنهم لجئوا إلى حيلة مبتكرة نعجز اليوم عن الوصول إليها، ولو صح هـــذا الافتـــراض لوجدنا بالفعل مدونات تسرد كيفية بناء مثل هذا الصرح العظيم، ولكن لا أثر لأي معلومـــات تكـــشف هذا السر الغامض حتى اليوم.

من يرفضون القول بقيام الجن ببناء الأهرامات، هم متشبثون بأقوال علمانية، تجحد الإيمـــان بالغيـــب، وبمنهج طائفة ترفض قبول ما لم يرد به نص صريح، وتنهى عن استخدام العقل وفق ضـــوابط شـــرعية في تدبر القرآن الكريم، أما القاصمة فهي أن من ينكرون دورا لجن قد وافقوا أقوال اليهود والنصارى الـــذين ينكرون وجود الجن، رغم أنهم من عتاة السحرة المفسدون في الأرض.



تم بحمد الله تعالى

* * * * * *